أحب الأعمال إلى الله تعالى

إعداد

مسعد حسين محمد

عفا الله عنه




من مرفوعات

مثنى النعيمي

اسكنه الله ووالديه الفردوس الأعلى


بسم الله الرحمن الرحيم

أحب الأعمال
إلى الله تعالى

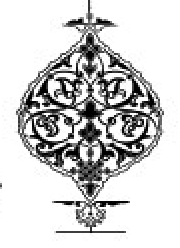




الطبعة الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٥٢٠٨

الترقيم الدولي
977-331-461-8



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ص ب: ١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٢٠
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مُقدِّمة

الحمد لله الذي أتم النعمة ، وأولى المنة ، له الحمد في الأولى والآخرة وهو السميع العليم ، تعالى رباً ، وتقدس إلهاً ، علم هواجس الصدور وما تُخفي ، وعلم ظواهر الأمور وما تُبدى ، كل سر عنده علانية ، وكل غيب عنده شهادة ، فلم يستتر عنه شيءٌ ، ولم يشغله شيءٌ عن شيءٍ ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، وإمام كل إمام نبينا عليه الصلاة والسلام .

ثم أما بعد : فإن هذه الأمة أعمارها أقصر أعماراً من الأمم السابقة ، ولكن الله بمنه وكرمه عوضها بأن جعل لها كثيراً من الأعمال الصالحة ، والمواسم الفاضلة ، التي يستكثرون فيها من الخير ، فيبارك في أعمارهم ، فكأنهم إن عملوها رُزقوا أعماراً طويلة مباركة ، ومن جملة هذه الأعمال ، الأعمال الصالحة في ليلة القدر التي من أحياها فكأنما عبد الله نيِّفاً وثمانين سَنة ، ومن أحياها كل سنة فكأنما رزق أعماراً كثيرة ، ومن ذلك أيضاً صلة الأرحام ، التي يتحقق من صلتها أمران عظيمان وهما السعة في الرزق ، والبركة في العمر ، ومن رحمة النَّبي ﷺ وشفقته على أمته أن دلهم على ما يصلحهم، وما يستكثرون به من العمل الصالح الذي يقربهم إلى الله تعالى. ولحرص أصحاب النَّبي ﷺ على الخير ، والتسابق والتنافس على الأعمال الصالحة ، كانوا ﷺ يسألونه عن أحب الأعمال التي يحبها الله تعالى ، كي يتقربوا بها إليه سبحانه وتعالى .

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ ، أن قلت: أي الأعمال أحب إلى الله ؟ ، قال: **(أن تموت ولسانك رطب بذكر الله)**[1].

(١) حسن : رواه ابن حبان (٢٣١٨) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٢) ، والبزار(٢٩٥) والطبراني في "المعجم الكبير" (١٠٧٢) ، وابن المبارك في "الزهد" (١٣٤٠) وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٩٠٦) .

وقد جمعت بفضل الله وعونه في هذا الكتاب [**أحب الأعمال إلى الله**] من الأحاديث الصحاح التي تشتمل على الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى ، ويرضاها من العبد ، وقمت بشرحها شرحاً سهلاً مبسطاً كي ينتفع بها القارىء ، ويستفيد منها الواعظ والخطيب ، والله أسأل أن يتقبلها خالصة له سبحانه ، فهو من وراء القصد ، وعليه التكلان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

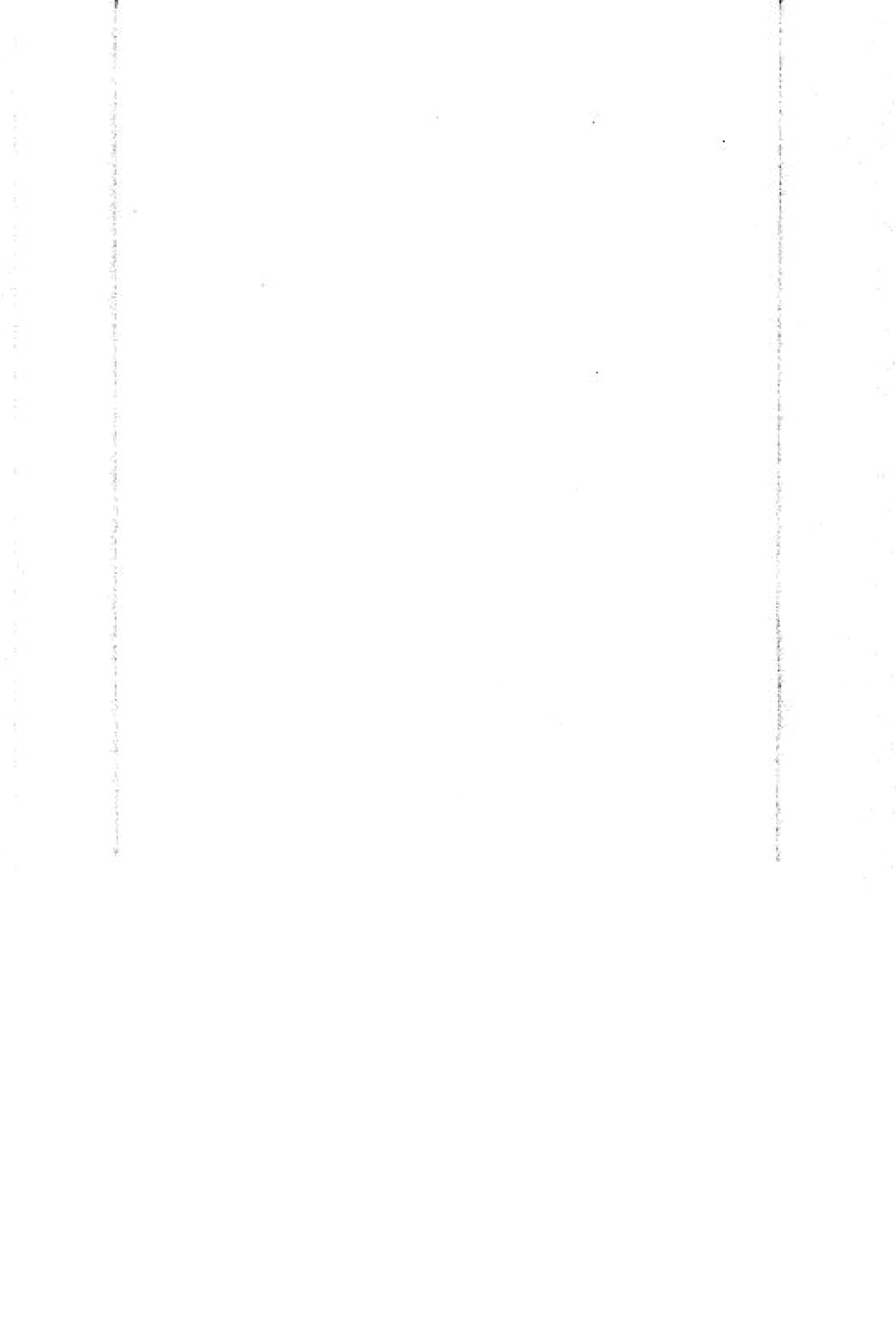
وكتبـــه

مسعد حسين محمد

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



الأسباب الموجبة
لمحبة الله للعبد



الأسباب الموجبة لمحبة الله للعبد

أخي الكريم ، قبل أن أشرع في الكلام عن مضمون هذا الكتاب أود أن أوضح أمراً عظيماً جليلاً، وهو مجمل اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته ؛ لأن موضوع الكتاب متضمن لبعض الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى، وهذه المحبةُ صفةٌ من صفات الله تبارك وتعالى ، وأسماء الله كُلها حسنى ، وصفاته كلها عُلا، وسُميت حُسنى لدلالتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول ، وتوحيد الله في الأسماء يقتضي الإيمان بكل اسم سمى الله به نفسه ، وما دل عليه هذا الاسم من معنى أو صفة ، وبما يتعلق بهذا الاسم من آثار ، وهذا الإيمان هو أصل الدين ، وركن التوحيد ، وأول الواجبات ، وآخر الواجبات .

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ،وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(إن لله تسعةً وتسعون اسماً ، مائةً إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة)** [١] .

ومعنى أحصاها، أي حفظها وأطاقها،وتعبد لله تعالى بها وهي الأقوال التي وردت في تفسير هذا الحديث،وورد الإحصاء بمعنى الحفظ،وهو قول البخاري [٢] .

لكن لا شك أن من حفظ الألفاظ ولم يقم بحقها في العبادة لم يكن ذلك هو الإحصاء المقتضي لدخول الجنة ، بل يحصيها لكي يتعبد لله تعالى بها ، ويدعو الله تعالى بها،وهذا هو معنى :أطاقها أي أطاق القيام بحق كلٍّ منها ، بدعاء الرب تعالى به ، وبشهود آثار هذا الاسم في الوجود ، واستحضار عظمة الله تعالى ،

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٦٩٥٧) ، ومسلم (٢٦٧٧) ، والترمذي (٣٥٠٦) ، وابن ماجة (٣٨٦٠) .

(٢) **انظر** : معارج القبول (١ / ٩٨) ط. مركز الهدى للدراسات .

واستحضار قدرته،واستحضار علمه تعالى بالأوائل والأواخر، والظواهر والبواطن.

وهذه التسعة والتسعون اسمًا من جملة أسماء الله تعالى ، وحصرها وجمعها لم يرد به حديث صحيح عن النَّبي ﷺ ، ولكن جمعها أهل العلم من القرآن والسُّنَّة كي يتعبد بها الناس ، وينتفعون بها في دعاء الله تعالى ، وكي يطلبها الناس ويجتهدوا في طلبها ، وهذه الأسماء ذكرت في الكتاب والسُّنَّة ، ولكنها غير محددة بعدد حتى يجتهد الناس في الدعاء بكل الأسماء الحسنى الموجودة في الكتاب والسُّنَّة، لكي يكون بذلك قد دعا الله بالتسعة والتسعين اسماً، وشبيه ذلك قول النَّبي ﷺ عن يوم الجمعة :(**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه**) [١] ، حتى وإن قلنا هي آخر ساعة بعد العصر ، فنحن لا نعرفها تحديداً، فالذي يمكث من العصر إلى المغرب يوم الجمعة يذكر الله ، سوف يدرك هذه الساعة ، وكذلك ليلة القدر في العشر الأواخر ، لكن أية ليلة هي لم نعرفها ؟؟ ولكن نطلبها في العشر الأواخر كلها حتى ندرك ليلة القدر. فكذلك لكي ندرك التسعة والتسعين اسماً ، وندعو الله بها ، ونتعبد الله بها ، فالسبيل لذلك أن نتعبد بكل ما ورد في الكتاب والسُّنَّة [٢] .

وأسماء الله تعالى ليست منحصرة في التسعة والتسعين اسماً ، ويدلل على ذلك قول النَّبي ﷺ : (**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي**) [٣] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٠٣٧) ، ومسلم (٨٥٢) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) المنة : شرح اعتقاد أهل السنة بتصرف واختصار (٦١-٦٢) للشيخ ياسر برهامي ط . دار الخلفاء
(٣) صحيح : رواه أحمد (٣٧١٢) ، وابن حبان (٩٧٣) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٩٩)

وهذه الأسماء الحسنى دالة على صفات الله تعالى ، وهذه الصفات تنقسم إلى قسمين : صفات ذات ، وصفات أفعال :

أولاً : مثال لصفات الذات :

كالنفس ، والحياة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والوجه ، واليد ، والرجل ، والملك ، والعظمة ، والكبرياء ، والإصبع ، والعين ، والغنى ، والقدم ، والرحمة ، والحكمة، والقوة، والعزة ، والخبرة، والوحدانية، والجلال . وهي لا تنفك عن الله .

ثانياً : مثال لصفات الفعل :

كالاستواء ، والنزول ، والضحك ، والمجيء ، والعجب ، والفرح ، والرضى ، والحب ، والكره ، والسخط ، والإتيان ، والمقت ، والأسف ، وهذه يقال لها قديمة النوع حادثة الآحاد ، وهي متعلقة بمشيئة الله وقدرته [١] .

ومن هذه الصفات المباركة ، صفة المحبة ، محبة الله تعالى للعبد فهي صفة من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، أما محبة العبد لربه فهي حياة القلوب، ونعيم الارواح، وبهجة النفوس، وقرة العيون ، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة ، والمحبة : هي إيثار المحبوب على جميع المصحوب .

وقيل : هي موافقة الحبيب في المشهد والمغيب .

وقيل : المُحِبُّ هو عبدٌ ذاهبٌ ، متصلٌ بذكر ربه ، قائمٌ بأداء حقوقه ، ناظرٌ إليه بقلبه ، احرقت قلبه أنوار هيبته ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكت فمع الله .

أَرُوْحُ وقد خَتَمتُ على فُؤادي	بِحُبِّكَ أنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَا
فَلَوْ أنّي استطعت غَضَضْتُ طَرْفي	فَلَمْ أنظُرْ بِهِ حَتّى أَرَاكَا
أُحِبُّكَ لا بِبَعْضي بَلْ بِكُلّي	إنْ لَمْ يُبْقِ حُبُّكَ لي حِرَاكَا

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (٤٢٩ - ٤٣٠) للشيخ عبد العزيز السلمان ط . مكتبة الرياض الحديثة .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

المحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون ،وإليها شخص العاملون ، وإلى علمها شمر السابقون ، وعليها تفاني المحبون ، وبروح نسيمها تروّح العابدون ، فهي قوت القلوب ، وتسيم الأرواح ، وقرة العيون ، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، وهي روح الإيمان ، والاعمال ، والمقامات ، والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تَحْمِلُ أثقالَ السائرين إلى بلاد لم يكونوا ــ إلا بشق الانفس ــ بالغيها ، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا ــ بدونها أبداً ــ واصليها ، وتُبَوِّئُهُمْ من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا ــ لولاها ــ داخليها ، وهي مطايا القوم التي سراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوام الذي يبلغهم إلى منازل الاولى من قريب ، تالله ، لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذْ: لهم من محبة محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته ، وحكمته البالغة ــ ان المرء مع من أحب ــ فيالها من نعمة على المحبين سابغة .

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ في بيان علامات المحبة . تالله ، ما هزلت فيستامها المفلسون، ولا كسدت فيبيعها المعسرون ، لقد اقيمت للعرض في سوق من يزيد، فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطالون ،وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح ان يكون ثمناً ، فدارت السلعة بينهم،ووقعت في يد ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٥٤].

ولما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى ، فتنوع المدعون في الشهود ، فقيل : لا تقبل الدعوى إلا ببينة ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فتأخر الخلق كلهم ، وثبت أتباع

الحبيب ﷺ في أفعاله ، وأقواله ، وأخلاقه ، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة ٥٤] ، فتأخر أكثر المحبين ، وقام المجاهدون ، فقيل لهم : إن نفوس المحبين ، وأموالهم ليست لهم ، فهلموا إلى بيعه ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة :١١١] فلما عرفوا عظمة المشتري ، وفضل الثمن ، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع ، عرفوا قدر السلعة ، وأن لها شأناً ، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس ، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي ، من غير ثبوت خيار ،وقالوا : "والله لا نقيلك، ولا نستقيلك" فلما تم العقد ، وسلموا المبيع ، قيل لهم : مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت ، وأضعافها معاً ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠] إذا غرست شجرة المحبة في القلب ، وسقيت بماء الإخلاص ، ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها ، أصلها ثابت في قرار القلب ، وفرعها متصل بسدرة المنتهى [١] .

وهذه المحبة لها أسباب وموجبات وعلامات وشواهد .

وإليك أخي الكريم بعض الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها :

أولها : قراءة القرآن بالتدبر ، والتفهم لمعانيه ، وما أريد به ، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ، ويشرحه ، ليتفهم مراد صاحبه منه

ثانيها : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة ، قال الله تعالى في الحديث القدسي :(**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**) [٢] .

---

(١) مدارج السالكين (٣ / ٦-٨) لابن القيم ط . دار الكتاب العربي .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ثالثها : دوام ذكره على كل حال باللسان ، والقلب ، والعمل ، والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر قال الله تعالى في الحديث القدسي : (**فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإ ، ذكرته في ملإ خير منه...**) [١] .

رابعها : إيثار محابِّه على محابِّك عند غليات الهوى ، والتسنم إلى محابه ، وإن صعب المرتقى .

خامسها : مطالعة القلب لأسمائه ، وصفاته ومشاهدته،ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ، ومياديتها ، فمن عرف الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، أحبه لا محالة .

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① ﴾[الإخلاص :١] فلما رجعوا ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : (**سلوه لأي شئ يصنع ذلك**) ، فسألوه ، فقال : (لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها) ، فقال رسول الله ﷺ : (**أخبروه أن الله يحبه**) [٢] .

سادسها : مشاهدة بره ، وإحسانه ، وآلائه ، ونعمه الظاهرة والباطنة ، فإنها داعية إلى محبته .

سابعها : وهي من أعجبها : انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى .

ثامنها : الخلوة به وقت النزول الإلهي ، لمناجاته ، وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب ، والتأدب لأدب العبودية بين يديه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل**

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٩٤٠) ، ومسلم (٨١٣) ، والنسائي في " الكبرى " (١٠٦٥) .

ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فاستجب له ! ومن يسألني فأعطيه ! ومن يستغفرني فأغفر له) [١] .

تاسعها : مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم ، كما يُنْتَقى أطايب الثمر ، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام ، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ، ومنفعة لغيرك .

عاشرها : مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله تعالى .

فمن هذه الأسباب العشرة ، وصل المحبوب إلى منازل المحبة ، ودخل على الحبيب . وملاكُ ذلك كله أمران : استعداد الروح لهذا الشأن ، وانفتاح عين البصيرة [٢] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) واللفظ له ، و أبو داود (١٣١٥) ، والترمذي (٣٤٩٨) ، وابن ماجه (١٣٦٦) ، وأحمد (٧٦١١) .

(٢) مدارك السالكين (٣ / ١٧) لابن القيم ط . دار الكتاب العربي .





بسم الله الرحمن الرحيم

عن رجل من خثعم قال : أتيت النبى ﷺ وهو فى رجل من أصحابه فقلت : أنت تزعم أنك رسول؟ :قال : نعم ، قال : قلت يا رسول الله ، أى الأعمال أحب إلى الله ؟ :قال : الإيمان بالله . قال : قلت يا رسول الله : ثم مه ؟، قال : ثم صلة الرحم ، قال : قلت يا رسول الله : ثم مه ؟، قال : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...)



أحب الأعمال إلى الله

إيمان بالله ، ثم صلة الرحم ، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فعن رجل من خثعم قال : أتيت النبي ﷺ وهو في رجل من أصحابه فقلت : أنت تزعم أنك رسول ؟ **قال** : **نعم** ، قال: قلت يا رسول الله : أي الأعمال أحب إلى الله ؟، **قال** : **الإيمان بالله** . قال : قلت يا رسول الله ثم مه ؟ **قال** : **ثم صلة الرحم** ، قال : قلت يا رسول الله ثم مه ؟ ، **قال** : **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** . قال : قلت يا رسول الله : أي الأعمال أبغض إلى الله ؟، **قال**: **الإشراك بالله** ، قال: قلت يا رسول الله ثم مه ؟ ، **قال** : **ثم قطيعة الرحم** . قال : قلت يا رسول الله ، ثم مه؟ ، **قال** : **ثم الأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف**)[1].

أولاً : الإيمان بالله

فالإيمان في اللغة معناه : التصديق .

قال الله تعالى : مخبراً عن قول إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ [يوسف ١٧] .

قال العلامة السعدي - رحمه الله - : أي أنك لا تصدقنا [2] .

والإيمان في الشرع : هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

قال الله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى**

(١) حسن : رواه أبو يعلى في مسنده (٦٨٣٩) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٦) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٥٠٤) للعلامة السعدي ط . دار المدني .

الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] وهذا ما أجاب به الرسول ﷺ جبريل لما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب . شديد سواد الشعر . لا يرى عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد .حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه ، **وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : الإسلام : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، إن استطعت إليه سبيلاً " . قال : صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرني عن الإيمان . قال : " أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره " . قال : صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " قال : فأخبرني عن أماراتها قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة ، العالة رعاء الشاة ، يتطاولون في البنيان " قال : ثم انطلق . فلبثت مليا ، ثم قال لي : " يا عمر أتدري من السائل ؟ "** ، قلت : الله ورسوله أعلم . قال : **" فإنه جبريل . أتاكم يعلمكم دينكم "** [١] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٨) واللفظ له ، وأبو داود (٤٦٩٥) ، والترمذي (٢٦١٠) ، والنسائي (٤٩٩٠) ، وابن ماجة (٦٣) .

فهذا الحديث حديث عظيم في مقام النبوة وتعلم الدين ، فهو فهرس الإسلام ، إذا صح القول ، فقد قسم ﷺ فيه الدين إلى ثلاث درجات : أعلاها الإحسان ، وأوسطها الإيمان ، ثم الإسلام ، فجعل هناك فرقاً بين مسمى الإسلام ، ومسمى الإيمان ، ومسمى الإحسان ، فكل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن محسناً ، ولا كل مسلم مؤمناً ، فالإحسان يدخل فيه الإيمان ، والإيمان يدخل فيه الإسلام ، فالمحسنون أخص من المؤمنين ، والمؤمنون أخص من المسلمين .

فإذا صلح القلب بالإيمان ، صلح الجسد بالإسلام ، لذلك قال ﷺ في حديث جبريل ﷺ ، هذا جبريل اتاكم ليعلمكم دينكم ، وقال ﷺ : (**ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**) (١) .

فالإسلام ، هو الأعمال الظاهرة ، كالشهادتين ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، لقول النبي ﷺ : (**بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان**) (٢) .

والإيمان : هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

والإيمان : تارة يذكر في القرآن والسُّنَّة مُجرداً ، وتارة يقرن بالإسلام ، وتارة يقرن بالعمل الصالح .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٢٧٧) ﴾ [البقرة : ٢٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ**

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) ، وأحمد (١٨٢٨٧) .
(٢) صحيح : رواه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) ، والترمذي (٢٦٠٩) ، والنسائي (٥٠٠١) .

وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾ الأنفال : [١ – ٢] .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ [الحجرات : ١٤] ،وعن أبي هريرة رضي الله عنه ،عن النبي ﷺ قال :(**الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**) [١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي ﷺ : (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده ، والناس أجمعين**) [٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان**) [٣] ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) [٤] .

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) واللفظ له ، والنسائي(٥٠٠٤) ، وابن ماجة (٥٧) .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (١٥) ، ومسلم (٤٤) ، والنسائي (٥٠١٣) ، وابن ماجة (٦٧) .

(٣) **صحيح** : رواه مسلم (٤٩) ، والترمذي (٢١٧٢) ، والنسائي (٥٠٠٩)

(٤) **صحيح** : رواه البخاري (١٣) واللفظ له ، ومسلم (٤٥)،والترمذي (٢٥١٥) ، والنسائي (١١٥) ، وابن ماجة (٦٦) .

والإيمان: هو اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح، وقد يكون هذا الإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وسنناً، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان،ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان .

وهذا الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : المأثور عن أصحابنا وأئمة التابعين، وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث،وهو المنسوب لأهل السُّنَّة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية [١] .

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي ـ رحمه الله ـ : وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم ، أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ، وإذا كان ينقص بالفتور عن الذكر ، فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى [٢] .

ويدلل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦) ﴾ [مريم : ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [الأحزاب :٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) ﴾ [الفتح :٤] .

وقال الله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[محمد :١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر : ٣١]

وعن حنظلة الأسدي وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت ؟ ياحنظلة ! قال قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ! ما

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧ / ٥٠٥) ط . دار الرحمة.
(٢) معارج القبول (٤ / ١٠٣) الشيخ حافظ أحمد حكمي ط . مركز الهدى للدراسات .

تقول ؟ ، قال قلت : نكون عند رسول الله ﷺ فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً .

قال ، أبو بكر : ! فو الله ! إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : (وما ذاك) ؟ ، قلت : يا رسول الله ! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات . نسينا كثيراً .فقال رسول الله ﷺ : (**والذي نفسي بيده ! لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**) [١] ثلاث مرات .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٢٧٥٠) ، والترمذي (٢٥١٤) ، وابن ماجة (٤٢٣٩) ، وأحمد (١٧٨١٤) ، والطبراني في " الكبير " (٣٤٩٠) ، والبيهقي في " الشعب " (١٠٢٨) .

تفاضل أهـــل الإيمـــان

فأهل الإيمان يتفاضلون ويتفاوتون في مراتب الإيمان في قلوبهم،وفي أعمال الإيمان الظاهرة،والله قسمهم بمقتضى حكمته،وجعلهم في ذلك مراتب ودرجات.

قال الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)** ﴾

[فاطر : ٣٢] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : الظالم لنفسه وهو المفرط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات ، والمقتصد هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات ، والسابق بالخيرات هو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات[(١)] .

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي ـ رحمه الله ـ :

قسم الله تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين ، وهم الأبرار أصحاب اليمين ، الذين اقتصروا على التزام الواجبات ، واجتناب المحرمات ، فلم يزيدوا على ذلك ، ولم ينقصوا منه .

. وإلى سابق بالخيرات : وهم المقربون الذين تقربوا بالنوافل بعد الفرائض وتركوا مالا بأس به خوفاً مما به بأس ، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك، حتى كان سمعهم الذي يسمعون به ، وبصرهم الذي يبصرون به ، فبه يسمعون ، وبه يبصرون ، وبه يبطشون ، وبه يمشون ، وبه ينطقون ، وبه يفعلون[(٢)] .

ويدلل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(بينا أنا نائم ، رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٥٦٢) للحافظ ابن كثير ط . دار المعرفة.

(٢) معارج القبول (٤ / ١٠٤) للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ط . مركز الهدى للدراسات .

قمص ، منها ما يبلغ الثُدْيَ ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض على عمر بن الخطاب ، عليه قميص يجره ، قال : فماذا أولت ذلك يا رسول الله ؟ ، قال : **(الدين)** [١] .

وعنه رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)** [٢] .

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٣٦٩١) ، ومسلم (٢٣٩٠) ، واللفظ له ، والنسائي (٥٠١١) .
(٢) **صحيح** : سبق تخريجه (ص : ٢٢) .

ثانياً : صلة الأرحام

لقول النبي ﷺ : **(ثم صلة الرحم)** .

والرحم : هي القرابة . وسميت بذلك ، لأنها داعية التراحم بين الأقرباء ، وصلة الرحم موجبة لرضا الرب عن العبد في الدنيا ، وموجبة لثوابه في الآخرة وقد ورد كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

أنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه ، وسبب البركة في العمر ، وهذه الأشياء محببة إلى العبد ، والعجيب أن هذه الرحم التي يتراحم بها الأقرباء هي خلق من خلق الله تعالى . قال رسول الله ﷺ : **(إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لك . ثم قال ﷺ : اقرءوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾**[١] .
[محمد : ٢٢ - ٢٣] .

ففي هذا الحديث المبارك بين ﷺ أن الرحم تتعلق بالعرش الكريم ، وتشتكي إلى الله الأرحام المهجورة والمقطوعة ، وما أكثرها في هذه الأيام التي تدابر فيها المسلمون ، وتصارم فيها الأخوان .

وصلة الرحم واجبة ؛ من وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله .

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء : ١]

قال الضحاك : أي اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، ولكن بروها وصلوها[٢] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٤٨٣٠) ، ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم .
(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٥٩) للحافظ ابن كثير ط . دار المعرفة .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ [الرعد : ٢١] .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري ـ حفظه الله ـ : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام[١].

وقال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ : أي من البر والإكرام، والواجب والمسنون، وذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال ، والأقارب ، والحاجة وعدمها [٢] .

والرحم نوعان : رحم عامة ، ورحم خاصة

فالرحم العامة : هي رحم الدين، ويجب صلتها بملازمة الإيمان،والمحبة لأهله، ونصرتهم ، وترك مضارهم ، والعدل بينهم ، والنصفة في معاملتهم ، والقيام بحقوقهم الواجبة والمستحبة ، كتمريض المرضى ، وتغسيل الموتى ، وغير ذلك من الحقوق المترتبة عليهم .

والرحم الخاصة : هي القرابة القريبة للرجل من جهة أبيه وأمه ، وهم المعنون بقول الله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٧٥] ، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة ، كالنفقة عليهم وتفقد أحوالهم ، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم ، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة ، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدىء بالأقرب فالأقرب ؛ وأقربهم الآباء والأمهات؛ والأجداد وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم ، ولذلك قال ﷺ :لما سُئل عن أحق الناس بِحُسن المصاحبة ؟ ، قال : (**أمك** . قال ثم من؟ ، **قال** :**أمك**. قال ثم من؟ ، **قال**: **أمك**. قال ثم من ؟ ، **قال** : **أبوك**) [٣] .

وعن المقداد بن معدي كرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن الله يوصيكم**

---

(١) أيسر التفاسير (١ / ٧٠٩) ، للشيخ أبو بكر الجزائري ، ط. مكتبة العلوم والحكم .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣ / ١٠٤) .
(٣) **صحيح** : رواه البخاري (٥٩٧١) ، ومسلم (٢٥٤٨) .

بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب) [١] .

صلة الرحم واجبة وإن قاطعوك :

صلة الرحم واجبة في حق كل مسلم ، وإن قطعه أقرباؤه .

فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(ليس الواصل بالمكافيء ، ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها)** [٢] .

أما إذا كان أهل الرحم كفاراً أو فجاراً ، فينبغي بذل الجهد في وعظهم وإعلامهم ودعوتهم ، فإذا أصروا على ماهم عليه من الباطل فمقاطعتهم في الله هي صلتهم ، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب .

بأي شيء يصل الإنسان رحمه ؟

صلة الرحم تكون بأمور متعددة وكثيرة ، منها زيارتهم ، والإهداء إليهم ، والسؤال عنهم ، وتفقد أحوالهم ،والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم ، واحترام كبيرهم ،وتكون كذلك باستضافتهم ، وحسن استقبالهم ، ومشاركتهم في أفراحهم ، ومواساتهم في أحزانهم ، كما تكون بالدعاء لهم ، وسلامة الصدر نحوهم ، وإجابة دعوتهم ، وعيادة مرضاهم ، كما تكون بدعوتهم إلى الهدى ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر .

قال النووي ـ رحمه الله ـ :

صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب الواصل والموصول ، فتارة تكون بالمال ، وتارة تكون بالخدمة ، وتارة تكون بالزيارة والسلام ، وغير ذلك .

وقال ابن أبي حمزة : صلة الرحم تكون بالمال ، وبالعون على الحاجة ، وبدفع

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود (٥١٣٩) ، والترمذي (١٨٩٧) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٣) ، وأحمد (١٧١٢١) ، وابن ماجة (٣٦٦١) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٦٦٦) .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (٥٩٩١) ، وأبو داود (١٦٩٧) ، والترمذي (١٩٠٨) .

الضرر ، وبطلاقة الوجه ، وبالدعاء ، والمعنى الجامع لذلك : إيصال ما أمكن من الخير ، وقطع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة .

وقال البلباني : المراد بصلة الرحم موالاتهم ، ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم ، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم ، والاجتهاد في إيصال كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم ، والإسراع إلى مساعدتهم ، ومعاونتهم عند حاجتهم ، ومراعاة جبر قلوبهم ، مع التعطف والتلطف بهم ، وتقديمهم في إجابة دعوتهم ، والتواضع معهم في غناه وفقرهم .

فوائد وثمرات صلة الرحم :

إن لصلة الرحم فوائد جمة ، وثمرات محققة ، ونتائج حسنة في حياة المسلم ، وبعد وفاته ، وإليك أخي الكريم بعض فوائد وثمرات صلة الرحم :

[١] صلة الرحم من الإيمان بالله .

فالإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها لا إله إلا الله ، كلمة التوحيد وأدناها ـ وليس فيها دني ـ إماطة الأذى عن الطريق ، وصلة الرحم من الإيمان بالله .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)** [١] .

[٢] صلة الرحم سبب في زيادة الرزق والبركة في العمر .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه)** [٢] .

فانظر ـ أخي الكريم ـ كيف رتب النبي ﷺ على صلة الرحم أمرين محققين ، وهما بسط الرزق وتوسيعه ، والإنساء في الأثر ، وجعل الجزاء من جنس العمل ،

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦١٣٨) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٥٥٧) ، ومسلم (٢٠٦٧) ، وأحمد (١٣٥١٩) .

فكما أن الإنسان وصل رحمه بالبر والإحسان ، وأدخل على قلوبهم السرور ، وصل الله عمره ، وبسط رزقه ووسعه ، وفتح له أبواب الخير والرزق ما لم يخطر له على بال ، وبارك له فيه ، فكم من إنسان وهبه الله قوة في جسمه ، ورزانة في عقله ، ومضاء في عزيمته ، وبركة في علمه وعمله ، فكانت حياته حافلة ومليئة بالأعمال الطيبة ، فهذا حياته حياة طويلة ، وإن كانت في الحساب قصيرة ، لأن المقياس الحقيقي للحياة المباركة بجلائل الأعمال ، وكثرة الآثار ، وليس بالشهور والأعوام . وصدق من قال :

فَتًى عَاشَ أَعْمَالاً جِسَاماً وَإِنَّمَا تُقَدَّرُ أَعْمَارُ الرِّجَالِ بِأَعْمَالِ

وانظر إلى من مضى من العلماء والمصلحين الذين عاشوا زمناً قليلاً وكأنهم لبثوا قروناً كثيرة ، بكثرة ما عملوا ، وعظم ما قدموا وخلفوا ، فاكتسبوا بذلك الذكر الحسن ، والثواب الجزيل ، وهم في قبورهم ، وذلك بالدعاء الصالح لهم ، والاقتداء بهم في صالح أعمالهم ، وصدق من قال :

دَقَّاتُ قَلْبِ المرءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِي

وإنما رتبت البركة في العمر على صلة الرحم؛لأن المرء إذا وصل رحمه أرضى ربه ؛ فأجله أقرباؤه ، واحترموه ، فامتلأت نفسه سروراً ، وشعر بمكانة عالية من أجل ما وفقه الله له في صنيعه الذي صنع والسرور منشط ، كما أن الحزن مثبط ، والشعور بالتعظيم عن أعمال مجيدة داع للإكثار منها، وبذل الجهد في سبيلها ، وكما أن الصحة ، وطيب الهواء ، وطيب الغذاء ، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب من أسباب البركة في العمر ، فكذلك صلة الرحم جعلها الله سبباً ربانياً من أسباب البركة في العمر .

[٣] صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله :

فعن رجل من خثعم قال: (أتيت النبي ﷺ وهو في رجل من أصحابه فقلت : أنت تزعم أنك رسول ؟، **قال** : **نعم**، قال : قلت يا رسول الله : أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : **الإيمان بالله** . قال : قلت يا رسول الله ثم مه ؟ قال : ثم صلة الرحم ، قال : قلت يا رسول الله ثم مه ؟ ، **قال** : **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** . قال : قلت يا رسول الله : أي الأعمال أبغض إلى الله ؟ ، **قال** : **الإشراك بالله** ، قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟ ، **قال** : **ثم قطيعة الرحم** . قال : قلت يا رسول الله ثم مه ؟، **قال**: **ثم الأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف**) (١) .

[٤] صلة الرحم سبب لمغفرة الذنوب :

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال : إني أذنبت ذنباً عظيماً ، فهل لي من توبة ؟ ، فقال النبي ﷺ : (**هل لك من أم ؟** قال : لا . **قال** : **فهل لك من خالة ؟** ، قال : نعم . **قال** : **فبرها**) (٢) .

وفي قصة الإفك التي تولَّى كِبْرها عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين ، الذي خاض في عرض عائشة رضي الله عنها،وكان من جملة من وقع في عرضها :الصحابي الجليل مسطح بن أثاثة ، كان من فقراء المهاجرين ،وكان قريباً لأبي بكر رضي الله عنه، وكان أبو بكر يُغدق عليه بالمال ، فلما تكلم في عرض عائشة ابنته منع عنه النفقة ، فعاتبه ربه بالوحي قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢] ، فلما سمع أبو بكر هذه الآية . قال : بلى إني أحب أن يغفر الله لي ، وعاد ينفق عليه مرة ثانية .

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه (ص : ١٩) .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (١٨٤٤) ، والترمذي (١٩٠٤) ، أحمد (٢٩٨٤) .

لا تقطعن عادة بر ولا ... تجعل عتاب المرء في رزقه
فإن أمر الإفك من مسطح ... يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى ... وعوتب الصديق في حقه

[٥] صلة الرحم والتصدق عليهم تضاعف الثواب :

فعن أنس ﷺ قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاءَ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت هذه الآية قال الله تعالى: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله : إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ وأن أحب أموالي إليّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله . فقال رسول الله ﷺ : (**بخٍ وذلك مال رابح**) وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال ، أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه) (١) .

حتى أنك ـ أخي الكريم ـ لو ابتليت بقريب يضمر لك العداوة،ويظهر البغضاء، مع فقره وشدة حاجته، فهو أولى بصدقتك؟،وإن عصى الله فيك ، فاطع الله فيه ، فنحن أمرنا أن نتقي الله فيمن لم يتق الله فينا ، فإذا تصدقت عليه وهو بهذه الحالة فإن الله يضاعف لك الثواب والأجر إن شاء الله تعالى ، ولعل صدقتك له ، وإحسانك إليه يكونان سبباً في زوال عداوته عليك ، ودوام محبته لك .

قال الله تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)** ﴾ [فصلت : ٣٤]

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (١٤٦١) ، ومسلم (٨٩٨) .
وكلمة بخ : تقال عند تفخيم الأمر ، وتعظيمه في الخير .

وما أجمل ما أنشده الناظم حين قال :

وَكُنْ وَاصِلَ الأَرْحَامِ حَتَّى لِكَاشِحٍ ... تُوَفَّرْ فِي عُمْرٍ وَرِزْقٍ وَتُسْعَدُ
وَلاَ تَقْطَعِ الأَرْحَامَ إِنَّ قَطِيعَةً ... لِذِي رَحِمٍ كُبْرَى مِنَ اللهِ تُبْعِدُ
فَلاَ تَعِشْ قَوْماً رَحْمَةُ اللهِ فِيهِمُ ... ثَوَى قَاطِعٍ قَدْ جَاءَ بِذَا تُوعَدُ

أخي الكريم ، بعد أن وقفنا على فضائل وثمرات صلة الأرحام ينبغي علينا أن نعتني ونهتم بصلة الأرحام، التي قطعت وهجرت، ونحذر مغبة القطيعة، وحصادها المر في الدنيا والآخرة، وإليك بعض عواقب العقوق والقطيعة :

عقوبة قاطع الرحم :

أولاً : الطرد من رحمة الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)** ﴾ [محمد : ٢٢-٢٣] .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : (**أنا الرحمن ، وهي الرحم شققت لها من أسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته**) [(١)] .

ثانياً : تعجيل العقوبة في الدنيا :

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم**) [(٢)] .

ثالثاً : لا يدخل الجنة :

فعن الجبير بن مطعم رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (**لا يدخل الجنة**

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود (١٦٩٤) ، والترمذي (١٩٠٧) ، وقال : حسن صحيح ، وأحمد (١٦٥٩) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٣٤٢) .

(٢) **صحيح** : رواه الترمذي (٤٣١٢) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٩١) ، وابن المبارك في "الزهد" (٨٥) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٩١٨) .

قاطع) [١] ، قال سفيان : يعني قاطع رحم .

أيها الأخ الكريم : انظر ـ حفظك الله ـ هذه الفوائد ، وتلك الثمرات المباركة ، التي ترتبت على صلة الأرحام ، وانظر مغبة قطيعة الرحم ، وما يترتب عليها من آثار مدمرة في الدنيا والآخرة ، فينبغي علينا أن نهتم بصلة الأرحام فهو باب من أبواب الخير ومعنى من معاني الإيمان ، نسأل الله العظيم أن يجعلنا واصلين لأرحامنا ، ومن لهم حق علينا .

ثالثاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقول النبي ﷺ : **(ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهي المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين ، ولو طُوي بُساطه ، وأُهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، فمن سعى في تلافي هذه الفترة ، وسد هذه الثلمة : إما متكفلاً بعملها ، أو متقلداً لتنفيذها ، مجدداً لهذه السُّنَّة الداثرة ، ناهضاً بأعبائها ، ومشمراً في إحيائها ، كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سُنَّة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومتفرداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها [٢] .

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ :

إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة ، لأن المسلمين منهم أكثر ، والأمر بالمعروف

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) ، وأبو داود (١٦٩٦) ، وأحمد (١٩٠٩) .

(٢) كتاب إحياء علوم الدين (٢ / ٣٠٦) للغزالي ط . الشعب .

والنهي عن المنكر فيهم أفشى ، فهم خير أمة ما أقاموا ذلك ، واتصفوا به ، فإن تركوا التغيير ، وتواطئوا على المنكر ، زال عنهم اسم المدح ، ولحقهم اسم الذم ، وكان ذلك سبباً لهلاكهم [١] .

قال الله تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة : ٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة :٧١]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى منكراً على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين : لما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، فلما ذكر الله صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي :يتناصرون ويتعاضدون ، فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [٢] .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء لتوحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته طريقي ودعوتي ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ بذلك ، ويقين ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ صدقني وآمن بي

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥٢٥) للإمام القرطبي ط . النور الإسلامية .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٣٨٣) للحافظ ابن كثير ط . دار المعرفة .

﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ تنزيهاً له وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه ، أو معبود سواه في سلطانه ، ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وأنا بريءٌ من أهل الشرك ، لست منهم ، ولا هم مني [١] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ : لا أحد أحسن قولاً ، أي كلاماً وطريقة وحالة ﴿ مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ بتعليم الجاهلين ، ووعظ الغافلين والمعرضين ، ومجادلة المبطلين ، بالأمر بعبادة الله ، بجميع أنواعها ، والحث عليها ، وتحسينها مهما أمكن ، والزجر عما نهى الله عنه ، ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ مع دعوته الخلق إلى الله ، بادر هو بنفسه ، إلى امتثال أمر الله ، بالعمل الصالح ، الذي يُرضي به ربه ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ المنقادين لأمره ، السالكين في طريقه [٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)** [٣] .

وعن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : **(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم)** [٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة**

---

(١) جامع البيان (١٢ / ٨٠) للإمام ابن جرير الطبري ط . الثقافة العربية .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤ / ٣٩٦) للعلامة عبد الرحمن ناصر السعدي ط . دار المدني .
(٣) تقدم تخريجه (ص : ٢٢) .
(٤) حسن : رواه الترمذي (٢١٦٩) وقال : حديث حسن ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٧٦٢) .

كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » [١] .

ولقد قدم الداعية الأول ، والإمام الأوحد ﷺ لهذا الدين دمه ، وماله وعرقه ، وجهده ، ودموعه ، وعمره يوم أن امتثل أمر ربه ومولاه سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ** ۝ ﴾ [المدثر ١-٢] .

قال سيد قطب رحمه الله : إنه النداء العلوي الجليل، للأمر العظيم الثقيل، لنذارة هذه البشرية وإيقاظها،وتخليصها من الشر في الدنيا،ومن النار في الآخرة، وتوجيهها إلى طريق الخلاص قبل فوات الأوان ،وهو واجب ثقيل شاق حين يُناط بفرد من البشر مهما يكن نبياً رسولاً، والإنذار هو أظهر ما في الرسالة، فهو تنبيه للخطر القريب الذي يترصد الغافلين السادرين في الضلال وهم لا يشعرون [٢] .

فقام ﷺ بهذا الدين حق قيام،يعرض نفسه على القبائل في المواسم والأسواق، يدعوهم إلى الله تعالى ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويقول من يحملني إلى قومي ، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي تعالى ، فكان ﷺ نهاره جهاد ، وصيام ، ودعوة ، وليله قيام ، وركوع وسجود ودموع ، ففي ثلاث وعشرين سنة أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة .

أتطلُبُونَ مِنْ المُخْتَارِ مُعْجِزَةً ... يَكْفِيهِ شَعْبٌ مِنْ الأَمْوَاتِ أَحْيَاهُ

ثم جاء الجيل المبارك ، والرعيل الأول من أصحابه ﷺ فانتشروا في أقطار الأرض مثل شعاع الشمس ، يفتحون البلاد ، ويفتحون قلوب العباد ، ولقد حفلت كتب التراجم بمواقفهم الدعوية المباركة التي سجلها لهم التاريخ ، وخطها لهم الزمن ، وسُطرت في صحائفهم في كتاب عند ربي ﴿ **لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى** ﴾ [طه : ٥٢] .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وأحمد (٩١٣٣).
(٢) في ظلال القرآن (٦ / ٣٧٥) للأستاذ سيد قطب ط . دار الشروق .

بل العجب العجاب أن ترى من العوالم الأخرى من الجن والبهائم والشجر والحجر من يؤيدون دعوة الرسول ﷺ تأييداً حسياً ، ويدعون إلى الله تعالى ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،وسوف نسردُ بعض المواقف الدعوية المباركة لهذه العوالم ، وذلك لشحذ الهمم ، ودفع القلوب للاهتمام بهذا الأمر الجلل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**بينما راعٍ في غنمه ، عدا عليه الذئب فأخذ منها شاه ، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : من لها يوم السبع [1] يوم ليس لها راعٍ غيري . فقال الرجل : والله ما رأيت شيئاً أعجبُ من هذا ، فقال الذئب : أعجب من هذا ، رسول الله ﷺ بين هذه النخلات يدعو إلى الله** [2]) .

فذهب هذا الرجل إلى رسول الله ﷺ وأسلم ، تكلم الذئب بلسان فصيح ، وأسلوب واضح ، أنطقه الذي انطق كل شيء ، فدعا هذا الرجل إلى الإسلام .

ثم انظر إلى هذا الإعرابي الذي أتى رسول الله ﷺوهو في سفر فدعاه ﷺ إلى الإسلام ، فقال الإعرابي :ومن يشهد لك على ما تقول؟ يُريدُ شيئاً يستوثق به، يُريدُ علامة على صحة هذا الكلام . فقال رسول الله ﷺ :(هذه السلمة)[3] فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطيء الوادي ، فأقبلت تخد [4] الأرض خداً ، حتى قامت بين يديه ﷺ واشهدها ثلاثاً ، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها [5] ، فأسلم الاعرابي .

ثم انظر إلى هذا المخلوق العجيب الغريب الذي كان سبباً في إسلام الصحابي

---

(١) قال القاضي : يوم السبع : أي يوم يطردك عنها السبع ـ أي الأسد ـ وبقيت أنا فيها لا راعي لها غيري لفرارك منه ، فأفعل فيها ما أشاء . انظر شرح النووي على مسلم (٨ / ١٣٩) .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (٣٤٧١) ، ومسلم (٢٣٨٨) .

(٣) السلمة : هي شجرة من شجر البادية .

(٤) تخد الأرض : أي تشق الأرض

(٥) **صحيح** : رواه الدارمي (١٦) وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٥٩٢٥) .

الجليل سواد بن قارب رضي الله عنه قد كان له رئي من الجن يأتيه وينقل له الأخبار ، فلما بُعث رسول الله ﷺ جاءته ، وقد رأى فيها الفزع ، وقالت له : (بُعث محمد فانهض إليه ترشد) فلما أصبح أخذ الزاد والراحلة وتوجه إلى مكة ، قاصداً رسول الله ﷺ فوجده قد هاجر من مكة إلى المدينة، فأتاه وأنشده أبياتاً جميلات قال فيها :

أتاني رَئِيٌّ بَعْدَ لَيْلٍ وَهَجْعَةٍ ... وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ
ثَلاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ... أتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ
فَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الإزَارَ وَوَسَّطَتْ ... بِي الدِّعْلِبُ الوَجْنَاءَ بَيْنَ السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ
وأنك أدْنَى المُرْسَلِينَ وَسِيلَةً ... إلى اللهِ يا ابْنَ الأَكْرَمِينَ الأطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يا خَيْرَ مُرْسَلٍ ... وَإنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لاذُو شَفَاعَةٍ ... سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ[1]

وأسلم رضي الله عنه، وكان هذا الجني سبباً في إسلامه .

وما زال فضل الله باق إلى قيام الساعة ، فهناك من الدعاة المخلصين من لهم حظ عظيم في علو الهمة ، والحركة الواسعة ، والإنجازات الرائعة التي ساهمت وأثمرت في إسلام كثير من الكافرين ، وهداية كثير من الفاسقين ، وهذا موقف يضرب أروع الأمثلة ، ويبرز عنصر المبادأة والمفاجأة :

يقول الشيخ محمد بن إسماعيل ـ حفظه الله ـ :

سمعت بعض مشايخ جماعة التبليغ والدعوة يحكي موقفاً تعرض له ، إذ خرج للدعوة إلى الله في حانة خمر ، في مدينة أوروبية ، واستهدف رجلاً مسلماً كان يجالس فتاة وهو يشرب معها الخمر ، فوعظه ونصحه ، وذكره بالله ، حتى

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١ / ١٠٦) ، وانظر فتح الباري (٧ / ٢١٥) .

لأن قلبه ، ودمعت عيناه ، فأخذ بذراعه ليقوده إلى المسجد ، وأخذت هذه المرأة بذراعه الآخر تنازعه فيه حتى كانت الغلبة له بعد تجاذب شديد من الطرفين ، وأتى به إلى المسجد ، وعلمه كيف يتطهر ويصلي،ثم تاب وحُسنت توبته [١] .

ويقول حفظه الله : أعرف أخاً أمريكياً ممن أسلم وحُسن إسلامه ، يخرج كل يوم أحد هو وزوجته ويتوجها إلى الكنيسة، ويقف هو عن يمين الكنيسة يدعوا الرجال إلى الإسلام،وتقف زوجته في الجانب الآخر تدعوا النساء إلى الإسلام[٢] .

إذن فلابد من التحرك الدعوى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن تقليل الفساد في المجتمع عبادة لله تعالى، ولن تقوم قائمة لهذا الدين حتى يحمله جماعة من البشر يؤمنون به إيماناً كاملاً ـ تحقيق الإيمان ـ ويستقيمون عليه ـ تحقيق العبادة ـ ويعملون جاهدين لتحقيقه في نفوس الآخرين ـ بالدعوة إلى الله وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ فإن المجتمع يعج بالمعاصي والمنكرات ، وأهل الكفر وأهل الباطل ، وأهل الفساد يبذلون الغالي والرخيص من أجل مبادئهم الضالة ، وأفكارهم المنحرفة ، وسوف نعرض بعض النماذج والصور لحركة أهل الباطل ، وكيف يعيشون من أجل قضيتهم وعقيدتهم ، وهذا من جلد الفاجر وعجز الثقة .

إيزابيل : صاحب القميص العتيق، هذه المرأة التي أعطت للنصرانية الكاثوليكية ثلاثين عاماً من عمرها ، ونسيت أنها امرأة ، هذه المرأة التي قطعت عهداً على نفسها أن لا تخلع ثيابها الداخلية حتى تسقط بلاد الأندلس ، وتسقط الخلافة من أيدى المسلمين، ويمثل أمامها آخر ملوك غرناطة، ويدفع جزية لملوك النصارى قدرها اثنتا عشر ألف قطعة ذهب سنوياً ، وقد كان لها ذلك ، هذه المرأة التي اعتنت بها الكنيسة ببناء شخصيتها ، ورعتها وحمتها ،

---

(١) بتصرف من كتاب علو الهمة (٢٨٢) للشيخ محمد إسماعيل ط. دار العقيدة .
(٢) بتصرف من كتاب علو الهمة (٢٨٣) للشيخ محمد إسماعيل ط. دار العقيدة .

وأوصلتها إلى الحكم ، هذه المرأة التي رهنت مجوهراتها لدفع مرتبات الجنود ، وكانت تشرف على المعارك ضد المسلمين ، ومولت الرحلة الجنوبية لكريستوفر كولومبس لاكتشاف القارة الأمريكية (أمريكا) لتنصير العالم الجديد [١] .

جلدا مائير ، الرجل الأول في إسرائيل ، كانت هذه المرأة تجمع التبرعات وتسافر من دولة إلى دولة ، حتى عادت محملة بخمسين مليون دولار ، وكانت تمر عليها الأيام فتعمل في اليوم ستة عشرة ساعة ، حتى أوجدت مع ابن جريون دولة إسرائيل ، وقال ابن جريون : إن امرأة كانت سبباً في قيام دولة ، وقالت : لم يُقدَّم لنا الاستقلال على طبق من فضة ، بل حصلنا عليه بعد سنين من النزاع والمعارك [٢] .

وقال الشيخ محمد بن إسماعيل ـ حفظه الله ـ :

حكى لي بعض شباب المسلمين الذين يعيشون في (ألمانيا) أنه منذ الصباح الباكر ، ينتشر دعاة فرقة (شهود يهوه) في الشوارع ، وينطلقون إلى البيوت ، ويطرقون الأبواب للدعوة إلى عقيدتهم ، حدثني أحدهم أن فتاة ألمانية منهم طرقت بابه في السادسة صباحاً ، ولما علم أن غرضها دعوته إلى عقيدتها ، بين لها أنه مسلم ، وأنه ليس في حاجة إلى أن يستمع منها ، فظلت تجادله ، وتلح عليه أن يمنحها ولو دقائق من أجل المسيح .

فلما رأى إصرارها أوصد الباب في وجهها ، ولكنها أصرت على تبليغ عقيدتها ، ووقفت تخطب أمام الباب المغلق قرابة نصف ساعة ، تشرح له عقيدتها وتغريه باعتناق دينها [٣] ، فهذا من جلد الفاجر وعجز الثقة ، فهل من داعية ينطلق لسانه ، ويجود بعلمه فيسافر بقلوب العباد وأرواحهم إلى بارئها تبارك وتعالى ، فيحرز بذلك منصباً عظيماً ، وميراثاً جليلاً للدعاة الأوائل ،

---

(١) صلاح الأمة (٧ / ١٨٨) للشيخ سيد حسين العفاني ، ط . مؤسسة الرسالة باختصار .

(٢) نفس المصدر (٧ / ١٨٨) .

(٣) انظر : علو الهمة (٢٩٦) للشيخ محمد بن إسماعيل ، ط . دار العقيدة .

والمنائر السامقة في عالم الدعوة ، فهذه الأمة شريكة لرسولها ﷺ ، وتابعة له في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذه الدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنتسب إلى الله تعالى قال الله : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف :١٠٨]، فما أشرفه من انتساب ، ولكن لا يتحقق هذا الانتساب حتى تكون هذه الدعوة ربانية في أصلها ومصدرها ، ربانية في طريقتها ومنهجها ، ربانية في غايتها وقصدها .

أولاً : أصلها ومصدرها :

بأن ترجع للوحي المنزل من عند الله كتاباً وسُنَّة ؛ فإن نقاء الأصل في نقاء الثمر، وصحته ، وقوته .

قال تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦]

وقال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء : ١١٣].

أما الدعوات التي تتخذ من المناهج الكلامية ، أو الطرق الفلسفية ، أو آراء الرجال وتحكمات العقول مصدراً لها ، وكذلك دعوة التصوف والدعوات التي تعتمد على الشعارات والهتافات ، فهي لا تستحق أن تكون دعوة ربانية .

ثانياً : الطريق ، والمنهج ، والوسيلة :

لابد أن تكون كذلك ربانية على منهج الأنبياء ، فالغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة ، بل الغاية إليه وحده ، والوسيلة من عنده وحده ، وسيرة الرسول ﷺ وسيرة من قبله من الأنبياء والرسل فيها البيان لوسائل الدعوة ، وطريقها ، وما يجب أن يقدم ، وما يجب أن يؤخر ، وما هي موازين المصالح والمفاسد ، حتى لا تختلط الأمور ، وتلتبس الأحوال .

ثالثاً : الغاية والقصد :

فلابد أن يكون القصد وجه الله ، والدار الآخرة لا غير ، وذلك من خلال العمل ، لإعلاء كلمة الله في الأرض .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وليس التمكين في الأرض لطائفة الدعاة بغاية مقصودة لهم ، بل هي من وسائل الدعوة لتحقيق العبودية لله في أكمل صورها .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١) ﴾ [الحج : ٤١] [١] .

عُدة الداعية :

يحتاج الداعي إلى الله في أداء مهمته ووظيفته، التي هي في الأصل وظيفة رسل الله ، إلى عُدة قوية من الفهم الدقيق،والإيمان العميق والاتصال الوثيق وهذه هي مقومات عُدة الداعي وأركانها ، وإذا فقدها لا يغني عنها شئ آخر ، وإذا ضعفت معانيها في نفسه فعليه أن يقويها .

أولاً : الفهم الدقيق :

وهذا الفهم الدقيق مبناه على العلم والبصيرة ،لذلك قدَّم الله تعالى العلم قبل العمل ، حيث قال : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد : ١٩] .

وفي الواقع أن تقديم العلم على العمل ضروري للعامل ، حتى يعلم ما يريد ، ليقصده ويعمل للوصول إليه ، ومن معاني الفهم الدقيق فهم الداعي غايته في الحياة ، ومركزه بين البشر ، فغاية الداعي عبادة الله وحده ، والجهاد في سبيله ، والدعوة إليه ، وعمارة الأرض بفعل الخير ، وهداية الحيارى إلى الحق ، ومع ذلك

---

(١) بتصريف واختصار من كتاب فضل الغني الحميد (ص: ٨٩) للشيخ ياسر برهامي ط. دار الإيمان .

فهو يتجافى عن دار الغرور ، ويتعلق بالآخرة .

ثانيا : الإيمان العميق :

ونريد بالإيمان العميق، أن الداعي المسلم يتيقن بأن الإسلام الذي هداه الله إليه، وأمره بالدعوة إليه ، حق خالص ، لأنه هدي الله ، وما عداه باطل وضلال .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] .

وأن هذا اليقين بأحقية الإسلام صار عند الداعي ثابتاً لا يتزعزع، مهما صادفته محنة أو شدة ، ومهما كان حاله من ضعف وقلة ، ومهما كان حال الكفرة من قوة ومنعة ، حتى لو بقي وحده في الأرض .

ثالثاً : الاتصال الوثيق :

ونريد بالاتصال الوثيق تعلق الداعي المسلم بربه ، وتوكله عليه في جميع أموره ، لتيقنه بأن الله تعالى هو المسئول بالخلق والرزق والتدبير، والضر والنفع ، والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن الله تعالى يكفي من يتوكل عليه ، ويفوض الأمور إليه .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣]

لا سيما من يتوكل عليه في أمور الدعوة إلى الله ونصره ، وإعلاء كلمته ، وجهاد أعدائه ، قال الله تعالى حكاية عن موسى وهارون : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه : ٤٥].

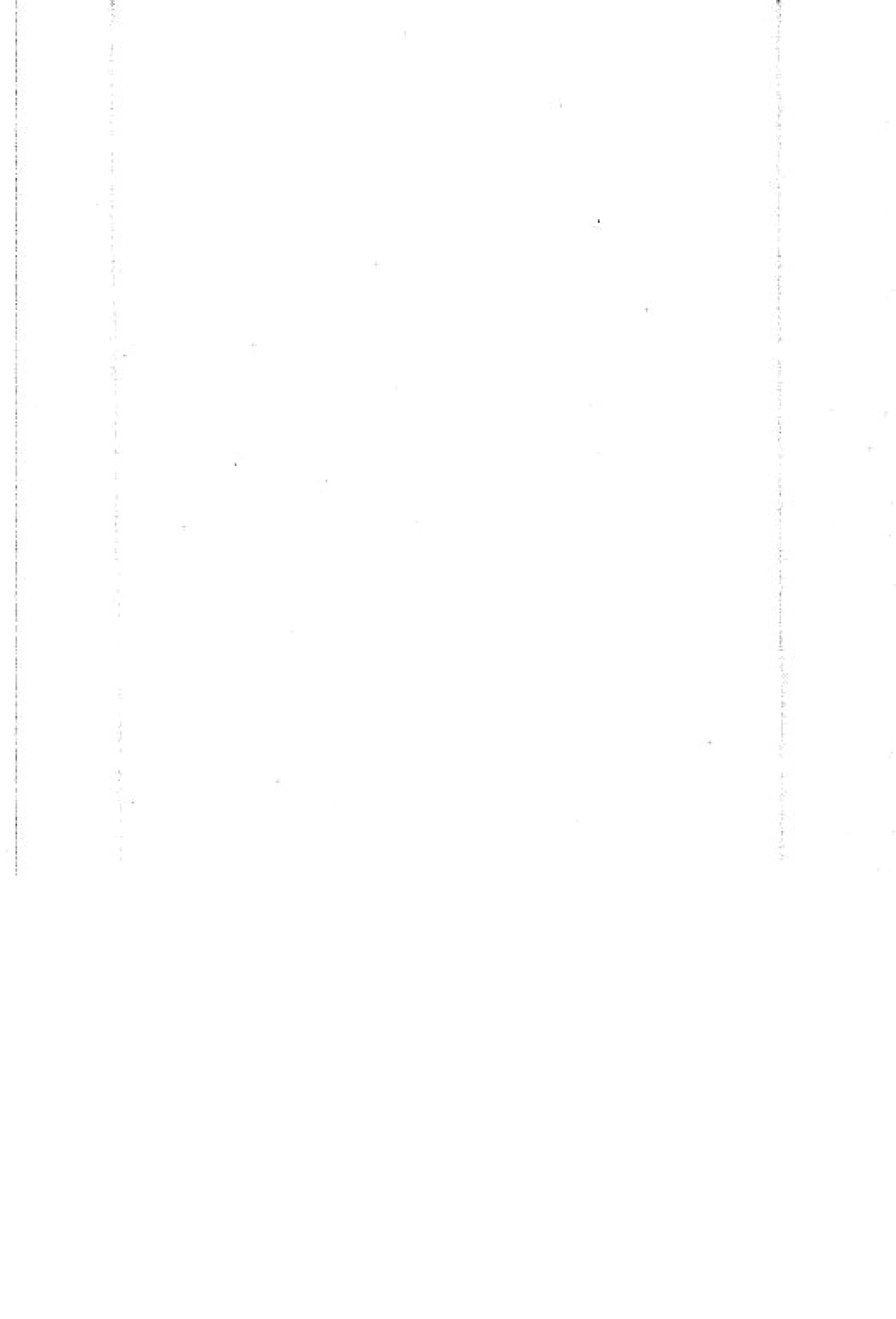
وهذه هي معية النصر والتأييد،وهي غير قاصرة على الأنبياء والرسل المتوكلين عليه في تبليغ رسالاته،وإنما هي شاملة لعباده المتقين،لا سيما الدعاة منهم إلى دينه.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

[النحل : ١٢٨] [(١)] .

---

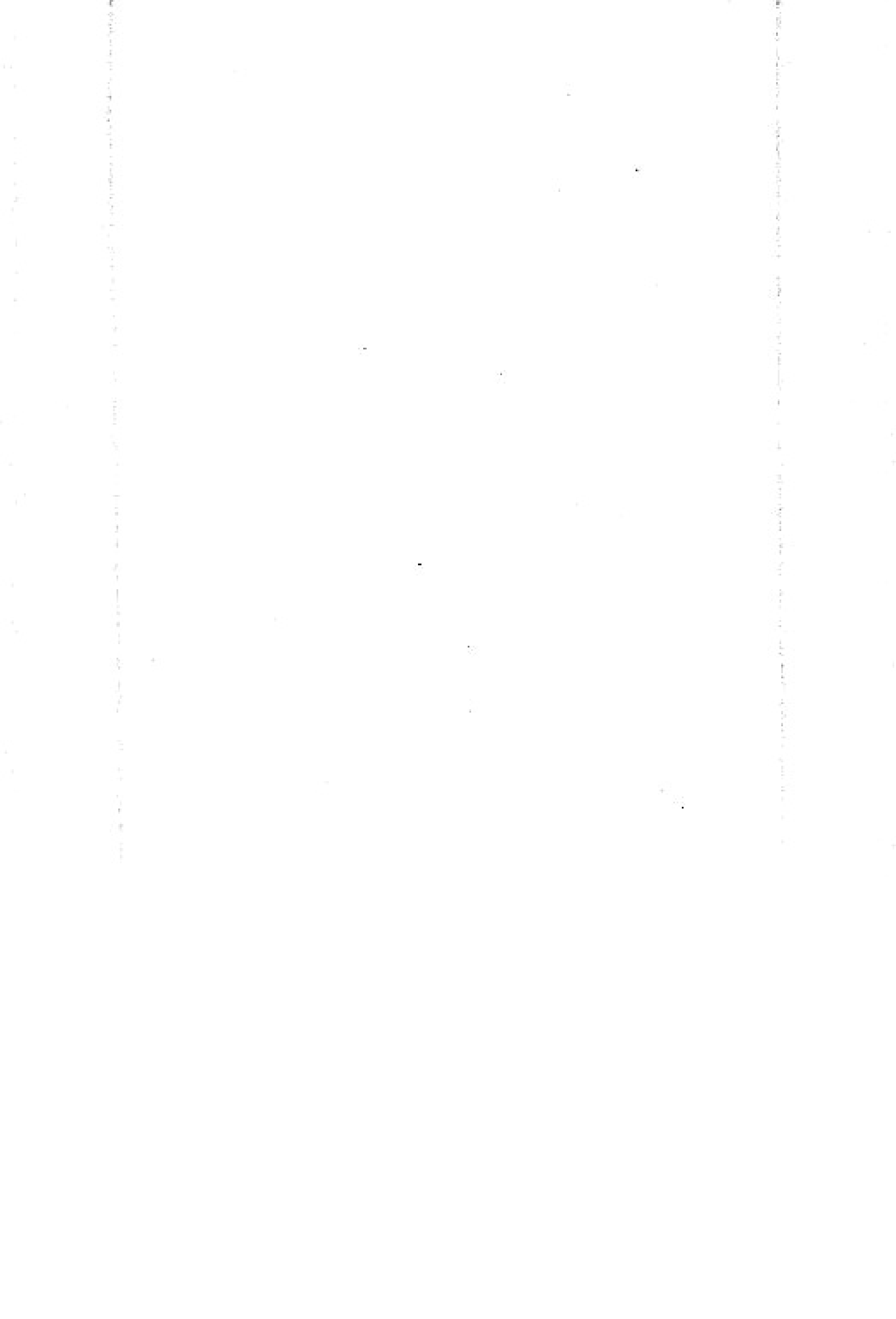
(١) أصول الدعوة (ص ٣٢٥ـ٣٤٥) للشيخ عبد الكريم زيدان ط . دار مؤسسة الرسالة باختصار.





عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :

(أحب البلاد إلى الله مساجدها ،وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)



أحب البقاع إلى الله المساجد

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)** [١].

لم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات فحسب، بل هو الجامعة التي يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، والمنتدى الذي تلتقي وتتآلف فيه القلوب والأرواح.

ولأهمية المسجد في الإسلام وفي حياة المسلمين، لما هاجر ﷺ من مكة إلى المدينة، أول خطوة خطاها قام ببناء المسجد.

قال الله تعالى: ﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** (١٠٨) ﴾ [التوبة : ١٠٨].

فاصبح هذا المسجد قلعة للإيمان، وحصناً للفضيلة، وبيتاً للأتقياء، وساحةً للعبادة، ومدرسةً للعلم، وندوةً للأدب، وراحةً للنفوس، وطمأنينة للقلوب، ومرتعاً للذاكرين، ومجمعاً للمسلمين، ومحلاً لتشاورهم وتناصحهم، ومنبراً للهداية والإرشاد، وقمعاً للغواية والفساد، قال الله تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** (٣٦) **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** (٣٧) ﴾ [النور : ٣٦-٣٧].

قال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -:

إنه النور الطليق الشائع في السموات والأرض، الفائض في السموات والأرض، يتجلى ويتبلور في بيوت الله أن تتصل فيها القلوب بالله، تتطلع إليه وتذكره

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٧١).

وتخشاه ، وتتجرد له ، وتؤثره على كل مغريات الحياة ، تلك البيوت ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ وإذن الله هو أمرٌ للنفاذ ـ فهي مرفوعة قائمة ، مطهرةٌ رفيعة ، يتناسق مشهدها المرفوع مع النور المتالق في السموات والأرض ، وتتناسق طبيعتها الرقيقة مع طبيعة النور السَّنِي الوضيء،وتتهيا بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اسم الله، وتتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة ، المسبحة الواجفة، المصلية لله تعالى[1].

أَخِيَّ لَبِّ نِدَاءَهُ وَدَعْ الهَوَى ... وَأرتعْ هُنَاكَ بِرُكْنِهِ وَتَفَقَّدِ

رُوْحُ القُلُوبِ يُنَالُ فِي إِعْمَارِهِ ... مَا ضَاقَ صَدْرٌ فِي رِحَابِ المَسْجِدِ

فَرِيَاضَةٌ تَزْهُو بِنُورِ هِدَايَةٍ ... وَتَحُفُّ بِالرَّحَمَاتِ كُلُّ مُوَحِّدِ

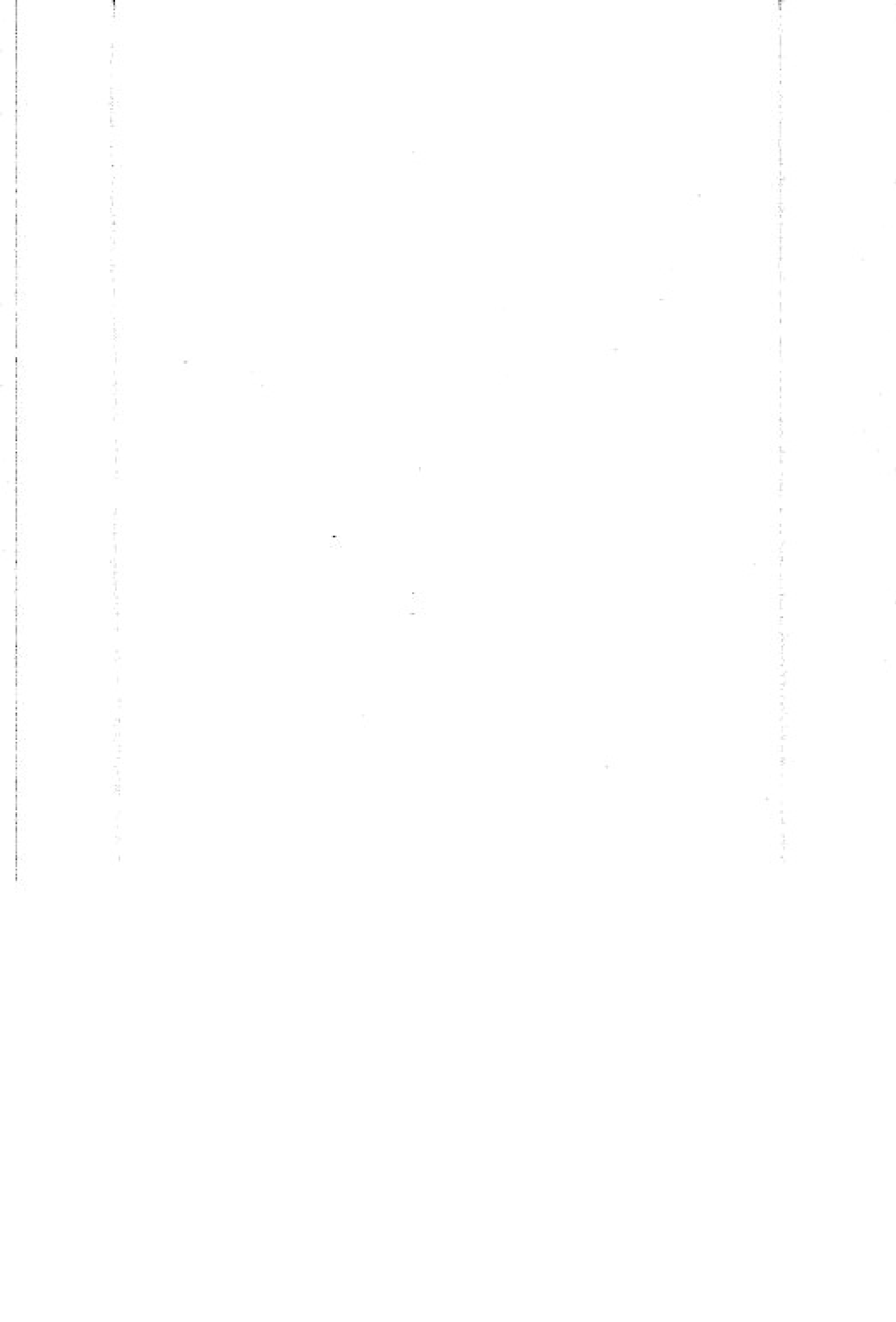
---

(١) في ظلال القرآن (٤ / ٥٢٠) ، الأستاذ / سيد قطب ، ط. دار الشروق .



عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

(أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد فى سبيل الله)



أحب الأعمال إلى الله

الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله**) [١] .

أولاً : الصلاة :

لقول النبي ﷺ : (**الصلاة لوقتها**)

والصلاة ، هي أعظم العبادات شأناً ، وأوضحها بُرهاناً ،وهي أول ما أوجبه الله على عباده ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وعموده ، وهي العلامة الفارقة بين المسلم والكافر ، وهي رأس القربات ، وغرة الطاعات، عمر الله بأنوارها قلوب العباد بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، وهي المعين الذي لا ينفد ، وهي الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذي لا يغيض ، وهي الروح والندى والظلال في الهاجرة ، وهي زاد الطريق ومدد الروح ، وجلاء القلب ، وهي النور ، والبرهان ، والعهد الذي بين الإنسان وبين ربه ، وهي الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي ، وهي تربية للنفس ، وتهذيب للروح ، وتُنير القلب بما تغرس فيه من إجلال الله وعظمته ، وتسعد المرء وتجمله بمكارم الأخلاق .

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)** ﴾ [المؤمنون ٩ - ١١] .

قال القاسمي - رحمه الله - :

يحافظون عليها،وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها، ويقيموا

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٢٧) ، ومسلم (٨٥) ، وأبو داود (٤٣١) ، والنسائي (٦١١) ، وأحمد(٢٦٩٨٣)

أركانها ، ويوكلوا أنفسهم بالاهتمام بها ، وبما ينبغي أن تتم به أوصافها ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الجامعون لهذه الأوصاف ﴿ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ أي الجنة ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي لا يخرجون منها أبداً [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المعارج : ٣٤] .

قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ :

يواظبون على أدائها ، ولا يخلون بها ، ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ، وأن يراعوا إسباغ الوضوء لها ، ومواقيتها ، ويقيموا أركانها ، ويكملوها بسننها وآدابها ، ويحفظوها من اقتراف المآثم [٢] .

عبادة الصلاة :

فعبادة الصلاة ، وضعت على أكمل الوجوه وأحسنها ، التي يُعبدُ بها الخالق تبارك وتعالى ، عبادة تضمنت التعظيم له بجميع الجوارح ، من نطق اللسان ، وعمل اليدين والرجلين والرأس وحواسه ، وسائر أجزاء البدن ، كل يأخذ لحظة من الحكمة في هذه العبادات العظيمة ، المشتملة على الثناء والحمد والتمجيد والتسبيح والتكبير ، وشهادة الحق ، والقيام بين يدي الرب مقام العبد الذليل الخاضع المربوب ، ثم التذلل له في هذا المقام ، والتضرع والتقرب إليه بكلامه ، ثم انحناء الظهر ذلاً له وخضوعاً واستكانة ، ثم استواؤه قائماً ليستعد لخضوع أكمل له من الخضوع الأول ، وهو السجود من قيام ، فيضع أشرف شئ فيه وهو الوجه على التراب خشوعاً لعزته ، وقد انكسر له قلبه ، وذل له جسمه ، وخشعت له جوارحه ، ثم يستوي قاعداً يتضرع له ، ويتذلل بين يديه ، ويسأله من فضله ، ثم يعود إلى حاله من الذل والخشوع والإستكانة ، فلا يزال هذا دأبُهُ حتى يقضي صلاته ، فيجلس عند إرادة الانصراف منها مثنياً على ربه ، مُسْلماً على نبيه ﷺ ،

---

(١) محاسن التأويل (٥ / ٢٢٨) للقاسم ط. مؤسسة التاريخ العربي .

(٢) الكشاف (٤ / ٦١٢) للزمخشري ط. دار الريان .

وعلى عباده ثم يصلي على رسوله [١]

الصلاة عبادة الملائكة :

فالملائكة هم عباد الله المكرمون ، الكرام على خلق الله خَلقاً وخُلقاً ، الطاهرون ذاتاً وصفة وأفعالاً ، المطيعون لله تعالى ، القائمون بأمره ، خلقهم الله من نور لعبادته ، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون ، ومن أعظم عباداتهم الصلاة ، فهم يقومون ويركعون ويسجدون .

فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال :بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم : **«أتسمعون ما أسمع ؟»**،قالوا :ما نسمع من شئ ، قال :**«إني أسمع أطيط السماء ، وما تلام أن تئط ، وما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد ، أو قائم »** [٢].

الصلاة عبادة الأنبياء والمرسلين :

قال الله تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام : ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ** ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

وقال تعالى عن مريم عليها السلام : ﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)** ﴾ [آل عمران : ٤٣] .

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠)** ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

وقال تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام ﴿ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)** ﴾ [مريم : ٣١] .

وقال تعالى عن نبيه إسماعيل عليه السلام ﴿ **وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)** ﴾ [مريم ، ٥٥] .

---

(١) فضائل الصلاة (٢١) أحمد زايد حمدان ط . دار بن عباس ،باختصار .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في " الكبير " (١ / ١٥٣) ، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢/ ٤٣) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٨٥٢) وقال : صحيح على شرط مسلم .

وكانت هذه الصلاة لها قدسية خاصة في حياة النبي ﷺ، وتعظيم كبير كان إذا أذن المؤذن قام عن أهله كأنه لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولم لا ؟ وهو القائل ﷺ : **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)** [١] .

قال المروزي ـ رحمه الله ـ :

لو لم يستدل على أن الصلاة أحب الأعمال إلى الله إلا بما الزم قلب حبيبه المصطفى ﷺ من حب الصلاة ، وجعل قرة عينه فيها دون سائر الأعمال كلها ، وإن كانا محب لجميع الطاعات ، ولكنه خص فأخبر أن قرة عينه جعلت في الصلاة لربه لكفاه ذلك على تعظيم قدر الصلاة [٢] .

وكان ﷺ إذا حزبه أمر ، أو نزلت به نازلة ، أو اشتدت عليه الأمور، أو ضاقت عليه الضوائق ، فأصابه شئ من الحزن والهم والغم ، قال: **(أرحنا يا بلال)** [٣] .

أَطْرِبِ الدُّنْيَا بِلاَلُ بِنَغْمَةٍ قُدْسِيَّةٍ تُحْيِي بِهَا الأَسْحَارَا
لِيَمُوتَ صَوْتُ البَغْيِ وَأْداً فِي مِيلاَدِهِ وَيَبْقَى صَوْتُكُمْ نَهَارَا
قُمْ يَا بِلاَلَ العَزْمِ أَعِدْ نَشِيدَكَ فِي الوَرَى وَرَتِّلِ الأَنْذَارَا
وَدَعِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي قَدْ صُوِّرَتْ جُدُداً وَمَزِّقْ عِنْدَهَا الحُوَارَا
أَقِمَا لِقَوْمِي لاَ يُحِبُّونَ هُدَى الرَّسُولِ وَيُحِبُّونَ العَارَا

حتى في وقت الشدة وفي وقت القتال ، والتحام الصفوف لم يُرخص في التهاون في أمر الصلاة .

ففي غزوة الأحزاب [٤] ، تحزبت الأعراب على رسول الله ﷺ حتى جمع له

---

(١) **صحيح** : رواه النسائي (٣٩٣٩) ، وأحمد (٢٨٥) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣١٢٤) .
(٢) تعظيم قدرة الصلاة (١ / ٣٣١) للمروزي ، ط . مكتبة الدار .
(٣) **صحيح** : رواه أبو داود (٤٩٨٥) ، وأحمد (٣٦٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٩٥) .
(٤) غزوة الأحزاب : هي غزوة الخندق ، كانت في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح .

عشرة آلاف مقاتل من اليهود والمشركين والمنافقين، ثلاث جبهات على رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل حتى شغلوه ﷺ عن صلاة العصر .

فدعا ﷺ عليهم وقال : (**ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً ، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**) [١] ، وصلاها بين العشائين ـ بين المغرب والعشاء ـ فأنزل الله صلاة الخوف [٢] ، يصليها المسلم في وقت الحرب والقتال والتحام الصفوف .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢)** ﴾ .

[النساء : ١٠٢] .

فلا صلاة في البيت إلا من عذر [٣] ولعظم هذه الفريضة العظيمة ، وتلك الشعيرة الجليلة كان ﷺ يقول وهو يصارع الموت : (**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**) [٤] .

وربَّى عليه الصلاة والسلام الجيْل المبارك ، الرعيل الأول على تعظيم أمر

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٩٣١) ، ومسلم (٦٢٧) ، وأحمد (٦١٧) من حديث علي بن ابي طالب

(٢) قال الخطابي : صلاة الخوف أنواع صلاها النبي ﷺ في أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى فيها ما هو أحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة ، فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى انظر شرح النووي على مسلم (٣ / ٣١٢) .

(٣) الأعذار : كالمرض والخوف الشديد والمطر الشديد ونحو ذلك .

(٤) صحيح : رواه ابن ماجة (٢٦٩٧) ، وأحمد (٣٢١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٧٣) .

الصلاة ، فكانوا أكثر الناس تعظيماً لأوامر الله، وكانوا مضرب المثل في التبكير إلى الصلاة ، وحضور صلاة الجماعة .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات ، حيث يُنادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهُدى ، وإنهن من سُنن الهُدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنَّة نبيكم ، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادى بين الرجلين ، حتى يُقام في الصف » [1] .

وقال مطر الوراق :

كانوا يبيعون ويشترون ، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل على الصلاة [2] .

وقال طاووس :

ما رأيت مصلياً كهيئة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان أشد الناس استقبالاً للكعبة بوجهه وكفيه وقدميه [3] .

ولله در سعيد بن المسيب :

قال : ما دخل علي وقت صلاة إلا وقد أخذتُ أهبتها ، ولا دخل عليّ قضاء فرض إلا وأنا إليه مُشتاق .

وقال عبد المنعم بن إدريس :

صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة ، وقال : ما فاتتني التكبيرة الأولى ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة [4] .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٦٥٤) ، وأحمد (٤٣٥٥) .
(٢) صفة الصفوة (٢ / ٢٣٥) .
(٣) صفة الصفوة (٢ / ٢٣٠)
(٤) صفة الصفوة (١ / ٢٥٤)

وعن أبي حيالة :

قال : كان الربيع بن خُثيم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالج - الشلل - فقيل له : قد رخص لك . قال :إني أسمع حي على الصلاة، فإن استطعتم فأتوها ولو حبواً (١).

وقال وكيع بن الجراح :

كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى - كان من النُّساك - وكان محافظاً على الصلاة في الجماعة والصف الأول (٢) .

وسمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن يؤذن لصلاة المغرب ، وهو يجود بنفسه وقد مرض مرضاً شديداً - مرض الوفاة - فقال :لأبنائه احملوني إلى المسجد، فقالوا : أنت مريض والله قد عذرك .

قال : أسمع حي على الصلاة . حي على الفلاح . وأصلي في البيت ؟،والله لتحملوني إلى المسجد ، فحملوه فقبضته الملائكة وهو في السجدة الأخيرة .

قال أحد أبنائه : كان أبي إذا صلى الفجر دعا الله وسأل الله أن يتوفاه على الميتة الحسنة (٣) . والميتة الحسنة : أن يتوفي الله العبد وهو ساجد .

أحِنُّ اشْتِيَاقاً لِلْمَسَاجِدِ لا إلى ... قُصُورٍ وفُرشٍ بِالطِّرَازِ تُوَشَّحُ
أصَلِّ اشْتِيَاقاً لِلْعَلِيِّ لَعَلَّنِي ... أجِدُ قُرَّةً لِلْعَيْنِ فِيهَا وَأُفْلِحُ
وَالمُكْثُ فِيهَا عِزُّ قَلْبِي حَيَاتُهُ ... حَيَاةٌ لأجْلِ الغَالِي بِالدُّونِ أسْمَحُ

وفاقت حفصة بنت سيرين الرجال في شوقها إلى الصلاة ، ولزومها مسجد بيتها ، مكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو قائلة ، وكانت تدخل مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع ، ثم تخرج ، فيكون عند ذلك وضوؤها ونومها .

---

(١) صفة الصفوة (٦/ ٢٢٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٢٠) ، وصفة الصفوة (٢ / ١٣١) .

وكان ابنها الهُزيل يجمع لها الحطب في الصيف، فيكسره ويأخذ القصب فيفلقه، فإذا وجدت حفصة أمه برداً في الشتاء جاء بالكانون فوضعه خلفها وهي في مصلاها، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب وقوداً لا يؤذيها دخانه ويدفئها [١].

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَا ذَكَرْنَا ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا التَّأنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَمَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ

فأين المبكرون إلى المساجد ؟، وأين أصحاب الصف الأول ؟، وأين المحافظون على التكبيرة الأولى ؟، فإن المساجد تشتكي إلى الله القطيعة ، وقلة المصلين ، فكثير من أهل الإسلام إلا من رحم الله جعلوا هذه الصلاة حجر عثرة في طريق عملهم ، فقدموا العمل والبحث عن المال ومصادر الكسب عن الصلاة ، أكلوا نعم الله التي لا تُحصى ونسوا حقه ، وأهملوا شعائره ، وجعلوا هذه الفريضة آخر شئ يفكرون فيه في حياتهم . فمن أين يأتي النصر ؟ ،ومن أين يأتي التمكين؟، ومن أين يأتي الخير والفضل ؟ .

وَجَلْجَلَةُ الأذانِ بِكُلِّ حيٍ ... ولكنْ أينَ صَوتٌ مِنْ بِلالِ
مَنائِرُكُم عَلَتْ في كُلِّ سَاحٍ ... ومسجدُكُم مِنَ العُبَّادِ خَالِ

وقال آخر :

لا تُصْنَعُ الأبطَالُ إلاَّ ... في مَسَاجِدِنَا الفِسَاحْ
في رَوْضَةِ القُرآنِ ... في ظِلِ الأحَادِيثِ الصِّحَاحْ
شَعْبٌ بِغَيرِ عَقِيدَةٍ ... وَرَقٌ تُذَرِّوهُ الرِيَاحْ
مَنْ خَانَ حَيَّ على الصَّلاةِ ... خَانَ حَيَّ عَلَى الكِفَاحْ

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ٢٠) .

فوائد وثمرات الصلاة :

● محو الخطايا ورفع الدرجات :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود : ١١٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات** ، قالوا : بلى يا رسول الله، **قال: إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذالكم الرباط فذالكم الرباط »** (١) .

● استغفار الملائكة للمصلي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : **(لا يزال العبد في الصلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة ، والملائكة تقول : اللهم اغفر له . اللهم ارحمه . حتى ينصرف أو يُحدث)** (٢) .

● إظلال الله للعبد يوم القيامة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُهُ ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)** (٣) .

● النور التام يوم القيامة :

عن بُريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : **(بشر المشائين في الظلم إلى المساجد**

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٨٢٥) ، ومسلم (٦٦٧) ، والمكاره : هي البرد الشديد أو المرض الذي يكسل صاحبه عن الحركة ونحو ذلك .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (٤٧٧) ، ومسلم (٦٤٩) .

(٣) **صحيح** : رواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) .

بالنور يوم القيامة) [١] .

● البراءة من النار :

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(من صلى لله أربعين يوماً في جماعة ، يدرك التكبيرة الأولى ، كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق)** [٢] .

● سبب لدخول الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾** ﴾ [المؤمنون :٩ ـ ١١] .

---

(١) صحيح :رواه أبو داود (٥٦١) ، والترمذي (٢٢٣) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٨٢٣) .

(٢) حسن :رواه الترمذي (٢٥٩) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٦٥) .

ثانياً : بـــر الوالديـــن

لقوله النبي ﷺ : (ثم بر الوالدين) .

وبر الوالدين من أوجب الحقوق على الإنسان بعد حق الله ، وحق رسوله ﷺ ، ولعظم هذا الحق وجلالة قدره عند الله تعالى، قرنه بتوحيده في كتابه العزيز ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ :

يأمر تعالى عباده بعبادته وحده ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من الشرك ، ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين ، إثر تصدير ما يتعلق بحقوق الله تعالى ، التي هي آكد الحقوق وأعظمها ، تنبيهاً على جلالة شأن الوالدين (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ .

[الإسراء : ٢٣ - ٢٤] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ :

أي أمر وألزم وأوجب . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء أمر ، أمر سبحانه بعبادته وتوحيده ، وجعل بر الوالدين مقروناً بذلك ، ويكون ذلك ببرهما والإحسان إليهما في حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره ، فلا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرم ، ويكون ليناً لطيفاً رحيماً متذللا داعياً لهما ، متذكرا تعبهما في التربية (٢) .

---

(١) محاسن التأويل (٢ / ٢٩٠) محمد جمال الدين القاسمي ط . مؤسسة التاريخ العربي .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٨١٦) للقرطبي ط . النور الإسلامية .

قضى اللهُ أنْ لا تَعْبُدُوا غيْرَهُ حَتْماً — فَيَا وَيْحَ شَخْصٍ غَيْرَ خَالِقِهِ أمَّا
وَأوْصَاكُمُوا بِالْوَالِدَيْنِ فَبَالِغُوا — بِبِرِّهِمَا فَالأجْرُ فِي ذَلِكَ وَالرُّحْمَا
فَكَمْ بَذَلا مِنْ رَأفَةٍ وَلَطَافَةٍ — وَكَمْ مَنَحَا وَقْتَ احْتِيَاجِكَ مِنْ نِعَمَا
وَأمُّكَ بَاتَتْ بِثُقْلِكَ تَشْتَكِي — تُوَاصِلُ مِمَّا شَقَّهَا الْبُؤْسَ وَالْغَمَّا
وَفِي الْوَضْعِ كَمْ قَاسَتْ وَعِنْدَ وِلادِهَا — مَشَقًّا يُذِيبُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ وَالْعَظْمَا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**رَغِمَ أنْفُهُ [١] رَغِمَ أنْفُهُ ، رَغِمَ أنْفُهُ** ، قيل: من يا رسول الله ؟ ، قال : **من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**) [٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : لرجل استأذنه في الجهاد : (**أحيٌّ والداك ؟** ، قال: نعم ، **قال : ففيهما فجهاد**) [٣] .

● **بـر الأم مقدم على بـر الأب :**

فالأم فضلت على الأب بثلاث حقوق ، لأنها تعرضت لشدائد الثلاث ،

الأولى : أنها حملت ، والثانية : لأنها وضعت ، والثالثة : لأنها أرضعت ، أما الأب فقد حمل ابنه في ظهره نطفة ، وليلة حمل أمه ما فكر فيه ولكن فكر في قضاء شهوته .

قال الله تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)** ﴾ [لقمان : ١٤] .

قال الزمخشري رحمه الله ، تضعف فوق ضعف ، ويتزايد ضعفها

---

(١) الرغام : هو التراب ، رَغِمَ أنْفُهُ : أي لصق التراب ، والمعنى : ذل وخزي من قصر في برهما عند ذلك ، وفاته دخول الجنة .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٥٥١) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٢١) ، والترمذي (٣٥٣٩) ، وأحمد (٨٥٣٨) .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٣٠٠٤) ، ومسلم (٢٥٤٩) ، وأبو داود (٢٥٣٠) ، والترمذي (١٦٧١) .

ويتضاعف ، لأن الحمل كما ازداد وعظم ، ازدادت ثقلاً وضعفاً [١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : " يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ " قال : (**أمك**) ، قال " ثم من ؟ " قال : (**أمك**) ، قال : " ثم من ؟ " قال : (**أمك**) ، قال : " ثم من " ، قال : (**ثم أبوك**) [٢] .

وعن المقدام بن معدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**) [٣] .

لأُمِّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَبِيرُ ... كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ
وَفِي لَيْلَةٍ بَاتَتْ بِثِقْلِكَ تَشْتَكِي ... لَهَا مِنْ جَوَاهَا أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَدْرِي عَلَيْكَ مَشَقَّةٌ ... فَكَمْ غُصَصٍ مِنْهَا الْفُؤَادُ يَطِيرُ
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْكَ الأَذَى بِيَمِينِهَا ... وَمَا حِجْرُهَا إِلاَّ لَدَيْكَ سَرِيرُ
وَتَفْدِكَ مِمَّا تَشْتَكِيهِ بِنَفْسِهَا ... وَمِنْ ثَدْيِهَا شُرْبٌ لَدَيْكَ نَمِيرُ
وَكَمْ جَاعَتْ وَأَعْطَتْكَ قُوتَهَا ... حُنُوًّا وَإِشْفَاقاً وَأَنْتَ صَغِيرُ
فَضَيَّعْتَهَا لَمَّا أَسَنَّتْ جَهَالَةً ... وَطَالَ عَلَيْكَ الأَمْرُ وَهْوَ قَصِيرُ
فَآهٍ لِذِي عَقْلٍ وَيَتْبَعُ الْهَوَى ... وَوَاهًا لأَعْمَى الْقَلْبِ وَهْوَ بَصِيرُ
فَدُونَكَ فَارْغَبْ فِي عَمِيمِ دُعَائِهَا ... فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ فَقِيرُ

- **بر الوالدين بعد موتهما :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**إذا مات الإنسان انقطع عمله**

---

(١) الكشاف (٣ / ٤٩٤) للزمخشري ، ط. دار الريان .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٥٩٧١) ، ومسلم (٢٥٤٨)

(٣) صحيح : رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٦٠) واللفظ له ، وابن ماجة (٣٦٦١) ، وأحمد (١٧١٢١) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٦٦٦)

إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ،أو ولد صالح يدعو له » [١] .

وعنه ﷺ قال : قال رسول ﷺ : **(ترفع للميت بعد موته درجة ، فيقول : أي رب ! أي شئ هذه ؟ ، فيقال : ولدك استغفر لك)** [٢] .

وعن عبد الله بن عباس ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ : " إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها ؟ " قال : (**نعم**) ، قال : " فإن لي مخرفاً [٣] ، فأنا أشهدك أني قد تصدقت به عنها " [٤] .

صـــور من البـــر :

البـــر : اسم جامع للخير ، وبر الوالدين فريضة لازمة ، لا ينكرها إلا المتوغل في النذالة واللآمة ، ولن يستطيع الأبناء مهما قدموا مجازاة الآباء والأمهات ، على ما قاموا به نحوهم في الطفولة والرجولة ، من عطف ورعاية وتربية وعناية ، إلا أن يجد الولد الوالد ـ أو الوالدة ـ عبداً مملوكاً فيشريه بالمال ويعتقه ، فبذلك يكون قد أداه حقه .

وإليك أخي الكريم بعض صور البر المباركة :

فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (**بينما ثلاثة نفر يتماشون ، أخذهم المطر ، فمالوا إلى غار في جبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل ، فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة ، فادعوا الله بها ، لعله يُفرجُها ، فقال أحدهم : " اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ، ولي صبية صغار ، كنت أرعى عليهم ، فإذا رجعت عليهم ، فحلبت ، بدأت بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه قد**

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٦٣١) ، وأبو داود (٢٨٨٠) ، والنسائي (٣٦٥١)، وأحمد (٨٨٣٠).
(٢) حسن : رواه ابن ماجة (٣٦٦٠) ، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٥٩٨) .
(٣) المخرف : النخل .
(٤) صحيح : رواه البخاري (٢٧٥٦) ، وأبو داود (٢٨٨٢) ، والترمذي (٦٦٩) .

نأى بي الشجر[١] ، فما أتيت حتى أمسيت ، فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب ، فقمت عند رأسهما ، أكره أن أوقظهما ، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون[٢] عند قدميَّ ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم ، حتى طلع الفجر ، فإذا كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا فُرجة نرى منها السماء ، ففرج الله لهم حتى يروا الشمس ...)[٣] .

من عظم الخطاب ، وجلالة المقام ، وقوة الجواب ، صخرة عاتية زحزحها الله كرامة للوالد والوالدة ، وبسبب هذه الصورة المشرقة من صور البر .

وهذا نموذج آخر ، وصورة أخرى من صور البر والفضل ، في عام من الاعوام جاء الحجيج ليحجوا إلى بيت الله الحرام ، وبين الألوف المؤلفة من الحجيج ، حاج من أهل اليمن ، يحمل أمه على كتفيه ، ويطوف بها حول البيت ، لانها عجوز لا تستطيع السير على قدميها ، ورأى هذا الرجل اليمني أن من الواجب عليه أن يكافئ الجميل ، فهذه الام العجوز التي لا تستطيع السير على قدميها ، كان في فترة من الفترات جنيناً في بطنها ، وطفلاً في أحشائها ، حملته ووضعته وأرضعته وقبلته ونظفته، سهرت لينام ، وجاعت ليشبع ، وظمئت ليروى ، وظن هذا الرجل اليمني انه كافاها حقاً بحق ، قال : أبو بردة بن أبي موسى الأشعري أن عبد الله بن عمر رأى هذا الرجل يطوف بالبيت،وقد حمل أمه وراء ظهره ويقول :

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا المُذَلَّلْ   إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرْ

اللهُ رَبِّي ذُو الجَلَالِ الأَكْبَرْ

حَمَلْتُهَا أَكْثَرَ مِمَّا حَمَلَتْ   فَهَلْ تَرَى جَازَيْتُهَا يَا ابْنَ عُمَرْ

---

(١) نأى بي الشجر : أي بعُدَ المرعى .

(٢) يتضاغون : يصرخون باكين .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٢٢١٥) ، ومسلم (٢٧٤٣) ، وابن حبان (٤٩٧) " موارد "

ثم قال : يا ابن عمر ! أتراني جزيتها ؟ ، قال : لا ولا بزفرة واحدة [١] .

قال محمد بن سعد :

(كان لمسعر بن كدام أم عابدة ، فكان يحمل لها لبداً ، ويمشي معها حتى يدخلها المسجد ، فيبسط لها اللبد ، فتقوم فتصلي ، ويتقدم هو إلى مقدم المسجد ، فيصلي ثم يقعد ، ويجتمع إليه من يريد ، فيحدثهم ، ثم ينصرف إليها فيحمل لبدها ، وينصرف معها) [٢] .

وهذا عبد الله بن عوف :

نادته أمه فأجابها ، فعلا صوته صوتها ، فأعتق رقبتين [٣] .

وهذا أبو الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ :

زين العابدين ، كان كثير البر بأمه ، حتى قيل له : " إنك من أبر الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة " ، فقال : أخاف أن تسبق يَدِي إلى ما سبقت إليه عينها ، فأكون قد عققتها [٤] .

صـــورة من العقـــوق :

فكما أن هناك صوراً مشرقةً للبر والفضل والخير، فهناك صور رديئة ومشينة ، يندى لها الجبين في إيذاء الوالدين،وسبهما وعصيانهما، ومد اليد بالسوء إليهما، ولعنهما وغيبتهما ، والكذب عليهما، ونهرهما وقهرهما وتوبيخهما ، والتأفف منهما ، والدعاء عليهما ، والتلكُّؤُ في قضاء شؤونهما ، كل ذلك عقوق ونكران للجميل ، تئن له الفضيلة ، وتبكي له المروءة ، وتأباه الديانة ، ولا يرضى

---

(١) صحيح : رواه البخاري في " الأدب المفرد " (١١) ، وعبد الله بن المبارك (٩٥) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٧٤١) وصححه الشيخ الألباني في شرح صحيح " الأدب المفرد" برقم (١١) .
والزفرة : هو ما تتعرض له المرأة عند الوضع من تردد النفس حتى تختلف الأضلاع .

(٢) صفة الصفوة (٤ / ٢٥) .

(٣) حلية الأولياء (٣ / ٣٩) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ /١٢٥) .

به العاقل ، فضلاً عن المتدين ، والعجيب أن الله قرن في كتابه الكريم توحيده وعبادته وطاعته المتضمنة لطاعته وطاعة رسوله ﷺ قرن بذلك حق الوالدين ، وقرن عليه الصلاة والسلام الإشراك بالله بعقوق الوالدين ، ومما جاء في العقوق ، وجرمه وقبحه وإثمه ، وأنه من أكبر الكبائر ، وأعظم الذنوب ، قول النبي ﷺ : **(إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال)** (١) .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله فقال : **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟** - ثلاثاً - " قلنا بلى يا رسول الله " ، قال :**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين** ، وكان متكئاً فجلس ، وقال : **ألا وقول الزور ،ألا وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور** ، فما زال يكررها حتى قلنا: " لا يسكت " ، وفي رواية : وحتى قلنا : ليته سكت " (٢) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **(إن من الكبائر شتم الرجل والديه** ، قالوا: يا رسول الله ! وهل يشتم الرجل والديه ؟ ، قال : **نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه)** (٣) .

هذه بعض الأدلة على تحريم العقوق ، والذي يعيش مشاكل الناس يجد صوراً سيئة للعقوق والظلم ، والحيف والجور ، تُدوى في مجتمعاتنا ، من شباب قست قلوبهم ، وعميت بصائرهم ، فما عرفوا حقاً للوالد ولا الوالدة ذُكِرَ أن شاباً كان مُكباً على اللهو واللعب ، لا يفيق عنه ، وكان له والد صاحب دين ، كثيراً ما يعظ هذا الابن ، ويقول له يا بني :احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن لله سطوات ونقمات، ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح عليه زاد في العقوق ، وجار

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٩٧٥) من حديث المغيرة بن شعبه .
(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٦٥٤) ، ومسلم (٨٧) ، والترمذي (٢٣٠٢) .
(٣) صحيح : رواه البخاري (٢٩٧٣) ، ومسلم (٩٠) والترمذي (١٩٠٣)، وأبو داود (٥١٤١).

على أبيه ، ولما كان يوم من الأيام ألح على ابنه بالنصح على عادته ، فمد الولد يده على أبيه ، فحلف الأب مُجتهداً ليأتين بيت الله الحرام ، ويتعلق بأستار الكعبة ، ويدعو على ولده ، فخرج حتى انتهى إلى البيت الحرام ، فتعلق بأستار الكعبة ، وأنشأ يقول :

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الحُجَّاجُ قَدْ قَطَعُوا ... عَرْضَ المَهَامَةِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لاَ يُخَيِّبُ مَنْ ... يَدْعُوهُ مُبْتَهِلاً بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
هَذِي مَنَازِلُ لاَ يَرْتَدُّ مِنْ عَقَقِي ... فَخُذْ بِحَقِّي يَا رَحْمَانُ مِنْ وَلَدِي
وَشُلَّ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ جَانِبَهُ ... يَا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدِ

فقيل، إنه ما استتم كلامه حتى يبس شق ولده الأيمن، نعوذ بالله من العقوق[١].

وروي، أن شاباً قام على خدمة أبيه زمناً طويلاً ، حتى تقدم به السن فمل منه وسئم ، فأخذه يوماً على ظهر دابة ، وخرج به إلى الصحراء ، فقال :يا بني إلى اين تذهب بي ؟، قال : يا أبتاه لقد أتعبتني ، وأسأمتني ، ولابد من ذبحك . قال : يا بني أهكذا جزاء الإحسان ؟ ، قال : لابد من ذبحك .قال : يا بني إن كان ولابد ، فاذبحني عند تلك الصخرة هناك ، قال : يا أبتاه ما يفيدك أن أذبحك هنا أو هناك ، قال : يا بني أذبحني عند تلك الصخرة ، فقد ذبحت أبي عندها ، ولك يا بني مثلها ، والجزاء من جنس العمل ، ولا يظلم ربك أحداً[٢] فهذه صورة أخرى من صور العقوق والظلم والجور .

فيا أيها المضيع لأوكد الحقوق ، المعتاض عن بر الوالدين بالعقوق ، الناسي لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين[٣] ، تطلب الجنة بزعمك ، وهي تحت أقدام أمك ، حملتك في

---

(١) موارد الظمآن (٢ / ٤٣٥) عبد العزيز المحمد السلمان ط . البحوث العلمية والإفتاء .
(٢) وبالوالدين إحسانا : (ص : ١٠٥) للشيخ سعيد عبد العظيم ط . دار العقيدة .
(٣) الشين : العيب والقبح .

بطنها تسعة أشهر ، كأنها تسعُ حجج (١) ، وكابدت عند وضعك ما يذيب المهج (٢) وأرضعتك من ثديها لبناً ، وأطارت لأجلك وسناً (٣) ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذا ، وصيرت لك حجرها مهداً ، وأنالتك إحساناً ورفداً (٤) .

فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خُيرت بين حياتك وموتها ، لآثرت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وقد عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً ، فلما احتاجت عند الكبر إليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبعت وهي جائعة ، ورويت وهي ضائعة ، وقدمت عليها أهلك ومالك في الإحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان ، وصعب عليك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، وهجرتها ومالها بعد الله سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف ، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ، ستعاقب في دنياك بعقوق البنين ، وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج : ١٠] (٥) .

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً ... تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ

إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ ... لِذِكْرِكَ إِلاَّ سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ

كَأَنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنَيَّ تَهْمِلُ

تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي ... إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

---

(١) حجج : سنين.
(٢) المهج : الروح .
(٣) وسنا : أخذ في النعاس .
(٤) الرفد : العطاء والصلة .
(٥) الكبائر (ص ٤٦) للإمام شمس الدين الذهبي ط . المكتبة التجارية .

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ المُفَنَّدِ رَأْيُهُ ... وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

تَرَاهُ مُعِدًّا لِلخِلَافِ كَأَنَّهُ ... بِرَدٍّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المُجَاوِرُ يَفْعَلُ

فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الجِوَارِ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلَيَّ بِمَالِي دُونَ مَالِكَ تَبْخَلُ

ثالثاً : الجهاد في سبيل الله

لقوله النبي ﷺ : (ثم الجهاد في سبيل الله) .

والجهاد ؛مأخوذ من الجهد ، وهو الطاقة والمشقة ، يقال : جاهد جهاداً أو مجاهدة ، إذا استفرغ وسعه ، وبذل طاقته ، وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومدافعته . ولا يُسمى الجهاد جهاداً حقيقياً إلا إذا قُصد به وجه الله ، وأريد به إعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ، ومطاردة الباطل ، وبذل النفس في مرضاة الله ، فإذا أُريد به شئٌ دون ذلك من حظوظ الدنيا، فإنه لا يسمى جهاداً على الحقيقة ، فمن قاتل ليحظى بمنصب ، أو يظفر بمغنم ، أو ليظهر شجاعة ، أو ينال شهرة ، فإنه لا نصيب له من الأجر ، ولا حظ له في الثواب . ولم يُشرع الجهاد إلا بعد الهجرة ، فقد كان المسلمون في مكة مأمورين بأن يكفوا أيديهم ، ويقابلوا أذى المشركين بالعفو والصبر، فلما هاجروا إلى المدينة،وانضم إليهم إخوانهم الأنصار ، فقويت شوكتهم ، واشتد جناحهم ،فأذن لهم حينئذ بالقتال ممن ظلموهم بمكة، ولكن لم يفرض عليهم .قال الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج : ٣٩] .

ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال المشركين كافة ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦] ، فهذه هي مراتب مشروعية الجهاد ، كان أول الأمر غير مأذون فيه ثم صار مأذوناً فيه ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين .

فضل الجهاد في سبيل الله :

قال الله تعالى : ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)** ﴾ [النساء : ٩٥ - ٩٦] .

قال العلامة السعدي - رحمه الله - :

لا يستوي الذي جاهد من المؤمنين ، بنفسه وماله ، ومن لم يخرج للجهاد ، ولم يقاتل أعداء الله ، وهذا فيه حث على الجهاد ، والترغيب فيه ، والترهيب من التكاسل ، والقعود عنه ، من غير عذر ، ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين في الرفعة والمغفرة والرحمة والدرجات العُلى في الجنة ، ففي الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله [١] .

وقال تعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ٤١].

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - :أي كهولاً وشباناً وأغنياء ومساكين ، وجاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم ، فانفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم ، حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعاً أو كرهاً ، أو يعطوكم الجزية عن يد صغاراً إن كانوا أهل الكتاب ، أو تقتلوهم بأيديكم يُخزيهم الله وينصركم عليهم [٢] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١ / ٣٩٠) ط . دار المدني .

(٢) جامع البيان (١٠ / ١٣٨) لابن جرير الطبري ط . دار الثقافة العربية .

إن كنتم تعلمون ⑪ ﴾ [الصف : ١٠ - ١١] .

قال القرطبي - رحمه الله - :

كان التجارة لم يُدر ما هي ، فبُينت بالإيمان والجهاد ، فكأنه قال : هل تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم [1] .

قال ابن المبارك - رحمه الله - :

يَا عَابِدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا ... لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ

مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ ... فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ

أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ ... فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ

رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا ... وَهَجُ السَّنَابِكِ وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ

وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ

لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللهِ فِي ... أَنْفِ امْرِئٍ وَغُبَارُ نَارٍ تَلْهَبُ

هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يُكْذَبُ

ولقد كان الإمام الأوحد ، والداعية الأول ، أعلى البشرية همة في الجهاد ، فقد كان ﷺ أشجع الناس ، وأقواهم قلباً ، وأثبتهم جناناً ، وقد حضر المواقف الصعبة المشهورة ، وفر الكماة عنه غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرّة أو فترة ، سواه ، فإنه لم يفرّ قط وحاشاه من ذلك ، ثم حاشاه .

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : (كنا إذا اشتد البأس [2] ،واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه ،وقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ ،وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً) [3] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٦١١) ط . النور الإسلامية .

(٢) اشتد البأس : أي إذا اشتدت الحرب ، استقبلنا العدو به ﷺ وجعلناه لنا وقاية .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٩٦٥٤) ، وصححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم (٣٤٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ،ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل)** [١] .

وصدق من قال :

وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ	كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً	وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

قال الدكتور عائض القرني ـ حفظه الله ـ :

كان ﷺ أثبت الناس قلباً ، كان كالطود لا يتزعزع ولا يتزلزل ، لا يخاف التهديد والوعيد، ولا ترهبه المواقف والأزمات ، ولا تهزه الحوادث والملمات ، فوض أمره لربه ، وتوكل عليه ، وأناب إليه ، ورضي بحكمه ، واكتفي بنصره ، ووثق بوعده ، كان يخوض المعارك بشخصه الكريم ، يُعَرِّضُ روحه للمنايا ، ويقدم نفسه للموت غير هائب ولا خائف ، ولم يفر من معركة قط ، ولا يتراجع خطوة ساعة يحمي الوطيس، وتقوم الحرب على ساق، وتشرع السيوف، وتمتشق الرماح ، وتهوي الرؤوس ، ويدور كأس المنايا على النفوس ، فهو في تلك اللحظة أقرب أصحابة من الخطر ، يحتملون أحياناً وهو صامد مجاهد ، لا يكترث بالعدو ولو كثر عدده ، ولا يأبه الخصم ولو قوي بأسه ، بل كان يعدل الصفوف ، ويشجع المقاتلين ، ويتقدم الكتائب :

أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا لَقِيتَ كَتِيبَةً	أَدَّبْتَ فِي هَوْلِ الرَّدَى أَبْطَالَهَا
وَإِذَا وَعَدْتَ وَفَيْتَ فِيمَا قُلْتَهُ	لا مَنْ يُكَذِّبُ قَوْلَهُ أَفْعَالَهَا [٢]

ولقد ربى عليه الصلاة والسلام الجيل المبارك والرعيل الأول على الجهاد ، وعلى الشجاعة ، والاستهانة بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء ، فقدموا أعظم التضحيات ، وحملوا أرواحهم على أياديهم ، وقدموها للواحد الأحد .

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٣٦) ، ومسلم (١٨٧٦) ، وأحمد (٨٩٦٢) .

(٢) بتصرف من كتاب محمد كأنك تراه (ص ٣٧) للدكتور عائض القرني ط . دار بن حزم .

قال الشيخ محمد بن إسماعيل ـ حفظه الله ـ :

علم الرعيل الأول من صفوة المسلمين أن في الجهاد فضلاً لا يُضاهَى ، وخيراً لا يتناهى ، وأيقنوا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، وأن الرِّيَّ الأعظم في شرب كئوس الحتوف ، فشمروا للجهاد عن ساق الاجتهاد ، ونفروا إلى ذوي الكفر والعناد ، من شتى أصناف العباد ، وجهزوا الجيوش والسرايا ، وبذلوا في سبيل الله العطايا ، وأقرضوا الأموال لمن يضاعفها ويزكيها ، ودفعوا سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها ، وضربوا الكافرين فوق الأعناق ، واستعذبوا من المنية مر المذاق وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباقي ،ونشروا أعلام الإسلام في الآفاق [١] .

وهؤلاء الأبطال لا يحصون عدة ، ولا يحاط بهم كثرة ، الممدوحين بقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وأشجع الصحابة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق لقد كان أثبت الناس قلباً ، وأقواهم جناناً ، فقد ثبت يوم بدر ، ويوم أُحد ، ويوم الخندق ، ويوم الحديبية ، ويوم حنين .

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ المُدَلَّلْ   تَمْشِي رُوَيْداً وَتَجِي فِي الأَوَّلْ

والفاروق عمر ناصر الدين ، وأمير المؤمنين ، الذي بلغ من الشجاعة والهمة الكبرى أقصى الغايات ، وأعلى النهايات ، هادم دولة ساسان ، وفي عهده زال ملك المجوس ، وذهبت إمبراطورية كسرى ، ولا يزال التاريخ يذكر لرستم قائد قوات الفرس مقولته الشهيرة " أكل عُمر كبدي " .

وصدق من قال :

يَا مَنْ يَرَى عُمَراً تَكْسُوهُ بُرْدَتُهُ   الأُدْمُ وَالزَّيْتُ مَطْعَمُهُ وَالكُوخُ مَأْوَاهُ
يَهْتَزُّ كِسْرَى مِنْ ذِكْرِهِ فَرَقًا   وَمُلُوكُ الرُّومِ فِي البُعْدِ تَخْشَاهُ

---

(١) علو الهمة (٢٩٨) للشيخ محمد بن إسماعيل ، ط . دار العقيدة للتراث .

يَارَبِّ . فَابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفَراً يُشَيِّدُونَ لَنَا مَجْداً أَضَعْنَاهُ
هُمُ الصَّحَابَةُ لا مِثْلَ لَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْقَوْمِ أَشْبَاهُ

وعليّ أبو الحسن الليث الحصّار ، والغيث المدرار :

عَفَاءٌ عَلَى دُنْيَا رَحَلْتَ لِغَيْرِهَا فَلَيْسَ بِهَا لِلصَّالِحِينَ مُعَرَّجُ
كَدَأْبِ عَلِيٍّ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا أَبِي حَسَنٍ وَالْفَضْلُ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ
سَيُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ نَاصِراً وَلِلَّهِ أَوْسٌ آخَرُونَ وَخَزْرَجُ

ولقد تجلت شجاعتهم ﷺ يوم بدر ، التي جمعت بين الآباء والأبناء ، اختلفت بينهما العقائد ، ففصلت بينهما السيوف .

قال المقداد بن الأسود يوم بدر : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﷺ : ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [المائدة : ٢٤] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون [١] .

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه : فامض لما أردت ، فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا غداً ، إنا لصُبُرٌ في الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، ولعل الله يُريك منا ما تقربه عينك ، فسر على بركة الله [٢] .

وإليك أخي الكريم ، صور من جهاد الصحابة رضي الله عنهم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :(انطلق رسول الله وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون ، **فقال رسول الله ﷺ : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض** ، قال عمير بن الحمام : بخٍ بخٍ) [٣] .

---

(١) الرحيق المختوم (١٨٠) صفي الرحمن المباركفوري ط . دار العلوم العربية .
(٢) نفس المصدر السابق (١٨٩) .
(٣) بخٍ : كلمة تقال عند تفخيم الأمر وتعظيمه في الخير .

فقال رسول الله ﷺ : **(ما يحملك على قولك بخ بخ** ، قال : لا و الله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، **قال : فإنك من أهلها** . قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتِلَ) [١] .

قال أبو الحسن الندوي :

ولقد بعث الإيمان في قلوبهم شجاعة خارجة عن العادة ، وحنيناً غريباً إلى الجنة ، واستهانة نادرة بالحياة ، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها ، كأنهم يرونها رأي العين ، فطاروا إليها طيران الحمام الزاجل لا يلوي على شيء[٢] .

وتكتمل ملحمة الجهاد والشجاعة في غزوة أحد ، يوم أن أتى عبد الله بن عمرو الأنصاري نشيطاً عاجلاً متعجلاً ، فاغتسل وتحنط ، ولبس أكفانه ، وكسر غمد السيف على ركبتيه ، وأوصىَ جابراً ابنه بإخوانه ، وكن سبع بنات ، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل ،فبكت أخته ، فقال ﷺ : **(مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع)** [٣] ثم قال لجابر رضي الله عنه : **(ما كلم الله أحد إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً ـ من غير ترجمان ـ فقال له ياعبدي سلني أعطك . فقال :إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يا رب فأبلغ من ورائي)** [٤] فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **(لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر ، ترد الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى**

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٩٠١) .

(٢) التربية على منهج أهل السُّنَّة والجماعة (ص ٤٩) للشيخ أحمد فريد ، ط . الدار السلفية .

(٣) صحيح : رواه البخاري (١٢٩٣) ، ومسلم (٢٤٧١) أحمد (٢٣٨٨) .

(٤) حسن : رواه الترمذي (٣٠١٠) ، وابن ماجة (٢٨٠٠) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٣٨١٥) .

إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقليهم ، قالوا : من يبلغ أخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نُرزق ، لئلا ينكلوا عند الحرب ولايزهدوا في الجهاد ؟ ، قال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم) (١) .

فهل بعد ذلك فضل ؟ وهل بعد ذلك خير ؟ وهل بعد ذلك مطلب ؟ .

ولله در القائل :

وَقَاتَلَتْ مَعَنَا الأَمْلاكُ فِي أُحُدٍ (١) ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فَمَا حَادُوا وَمَا انْكَشَفُوا

فَسَعْدٌ وَالْقَعْقَاعُ قَدْ عَبَرُوا ... إِيَّاكَ نَعْبُدُ مِنْ سَلْسَالِهَا رَشَفُوا

أَمْلاكُ رَبِّي بِمَاءِ الْمُزْنِ قَدْ غَسَلُوا ... جُثْمَانَ حَنْظَلَةٍ وَالرُّوحُ تُخْتَطَفُ

وَكَلَّمَ اللهُ مِنْ أَوْسٍ شَهِيدَهُمُ ... مِنْ غَيْرِ تُرْجُمَانٍ زَحَتْ لَهُ الْحُجُبُ

وعن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يوم أُحد : ألا ندعو الله ؟ ، فخلوا في ناحية ، فدعا عبد الله بن جحش فقال : إذا لقيت العدو غداً فلقاني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك ؟ ، فأقول فيك وفي رسولك ، فتقول صدقت قال سعد : فقد لقيته آخر النهار ، وإن أذنه وأنفه لمعلقتان في خيط (٣) .

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٨٨٧) ، وأبو داود (٢٥٢٠) ، ابن ماجة (٢٨٠١) .

(٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أُحد ، رجلين عليهما ثياب بيض وما رأيتهما قبل ولا بعد) .

صحيح : رواه البخاري (٤٠٤٥) ، ومسلم (٢٣٠٦) وفي رواية (أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، يقاتلان عنه كأشد القتال) قال الحافظ : هما جبريل وميكائيل عليهما السلام .

قال النووي : فيه بيان كرامة النبي ﷺ على الله ، وإكرامه إياه ، بإنزال الملائكة تقاتل معه يوم أحد ، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر ، وهذا هو الصواب ، خلافاً لما زعم اختصاصه ، فهذا صريح في الرد عليه ، والحديث يدل على ذلك ، وفيه فضيلة الثياب البيض ، وأن رؤية الملائكة لم تختص بالأنبياء ، بل يراهم الصحابة والأولياء ، وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص . انظر شرح النووي على مسلم (٨ / ٥٩).

(٣) صفة الصفوة (١ / ٣٨٥) .

وعن أنس ﷺ **قال** : (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ : الجنة ورب النضر ، إني لأجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانون ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح ، أو رمية بالسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، قال أنس : كنا نرى أو نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** (٢٣) ﴾ [1] [الاحزاب : ٢٣] .

قال الشيخ عبد الله ناصح علوان :

فنحن - جيل الإسلام اليوم - إذا نهجنا نهج الجدود في التزام الإسلام ، وسرنا سير السلف في الجهاد ، والتضحية والصبر والمصابرة ، والثبات ، والاستبسال ، فسوف نحقق بأيدينا عز الإسلام ، ونبني بسواعدنا دولة الإسلام، ونستعيد بتأييد الله المجد ، والعظمة، والخلود،ونرجع خير أمة أخرجت للناس ، لاننا رجال ، وسلفنا رجال ، وقد امتدح الله سبحانه عزائم الرجال حين قال : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** (٢٣) ﴾ [الاحزاب : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** (٣٧) ﴾ [النور : ٣٧] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٨٠٥) ، ومسلم (١٩٠٣) ، والترمذي (٣٢٠١) .

وما يضيرُ جيل الإسلام اليوم ، أن يكونوا في الظاهر رجالاً وفي المعنى جبالاً .

ورحم الله الشاعر الإسلامي محمد إقبال حين قال :

مَنْ ذا الَّذِى رَفَعَ السُّيُوفَ لِيَرْفَعَ اسْمَكَ ... فَوْقَ هَامَاتِ النُّجُومِ مَنَارَا

كُنَّا جِبَالاً فِى الْجِبَالِ وَرُبَّمَا ... صِرْنَا عَلَى مَوْجِ الْبِحَارِ بِحَارَا

بِمَعَابِدِ الإِفْرَنْجِ كَانَ أَذَانُنَا ... قَبْلَ الْكَتَائِبِ يَفْتَحُ الأَمْصَارَا

لَمْ تَنْسَ إِفْرِيقْيَا وَلا صَحْرَاؤُهَا ... سَجَدَاتِنَا وَالأَرْضُ تَقْذِفُ نَارَا

كُنَّا نُقَدِّمُ لِلسُّيُوفِ صُدُورَنَا ... لَمْ نَخْشَ يَوْماً غَاشِماً جَبَّارَا

وَكَأَنَّ ظِلَّ السَّيْفِ ظِلُّ حَدِيقَةٍ ... خَضْرَاءَ تُنْبِتُ حَوْلَهَا الأَزْهَارَا

لَمْ نَخْشَ طَاغُوتاً يُحَارِبُنَا وَلَوْ ... نَصَبَ الْمَنَايَا حَوْلَنَا أَسْوَارَا

نَدْعُو جِهَاراً لا إِلَهَ سِوَى الَّذِى ... صَنَعَ الْوُجُودَ وَقَدَّرَ الأَقْدَارَا

وَرُؤُوسُنَا يَارَبُّ فَوْقَ أَكُفِّنَا ... نَرْجُو ثَوَابَكَ مَغْنَماً وَجِوَارَا

كُنَّا نَرَى الأَصْنَامَ مِنْ ذَهَبٍ ... فَنَهْدِمُهَا وَنَهْدِمُ فَوْقَهَا الْكُفَّارَا

لَوْ كَانَ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ لَحَازَهَا ... كَنْزاً وَصَاغَ الْحُلِيَّ وَالدِّينَارَا [(١)]

فضل الشهادة في سبيل الله :

عن أنس رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال : **(ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة)** [(٢)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل)** [(٣)] .

---

(١) بتصريف من كتاب تربية الأولاد في الإسلام (٢ / ٩٩٢) للشيخ عبد الله ناصح علوان ط . دار السلام .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٨١٧) ، ومسلم (١٨٧٧) ، والترمذي (١٦٦٢) ، وأحمد (١٧٣٣) .

(٣) صحيح : سبق تخريجه (ص ٧٦) .

وعن المقداد بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويحلى حُلَة الإيمان ، ويزوَّج من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه**)[١] .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد ، **قال :لا أجده . . . قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟** ، قال :ومن يستطيع ذلك؟ .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : إن فرس المجاهد ليستنُ طوله فيكتب له حسنات[٢] .

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (قيل يا رسول الله : أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله ﷺ : **مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله . قالوا : ثم من ؟ ، قال : مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويَدَعُ الناس شره**)[٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : (**لغزوة في الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**)[٤] .

وعن ابو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : (**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتر من صيام ولا صلاة ، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**)[٥] .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي (١٦٦١) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجة (٢٧٩٩) واللفظ له ، واحمد (١٣١٤) وصححه الشيخ الألباني ، في صحيح سنن ابن ماجة برقم (٢٧٩٩) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٧٨٤) ، ومسلم (١٨٨٧) .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٢٧٩٢) ، ومسلم (١٨٨٠) .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٢٧٨٥) ، ومسلم (١٨٧٨) ، واللفظ له .





عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ :

(إن أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، ويصوم يوماً ويُفطرُ يوماً) .



أحب الأعمال إلى الله
صلاة وصيام نبي الله داود ﷺ

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن أحب الصلاة إلى الله صلاه داود ﷺ ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ،ويصوم يوماً ويُفطرُ يوماً**) [١] .

قال المهلب :

كان داود ﷺ يجم نفسه بنوم أول الليل ، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه : هل من سائل فأعطيه سؤله ، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل [٢] .

قال الله تعالى : ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ .

[سبأ : ١٣].

قال ابن كثير رحمه الله :

كان لا يمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً ، وكان داود ﷺ هو المقتدى به في ذلك الوقت في العدل وكثرة العبادة ، وأنواع القربات [٣] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١١٣١) ، ومسلم (١١٥٩) ، وأبو داود (٢٤٤٨) ، وابن ماجة (١٧١٢) ، وأحمد (٦٧٨٩) ، والنسائي (٢٣٨٨) .

(٢) وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يُخشى منها السآمة ، وقد قال ﷺ : (**إن الله لا يمل حتى تملوا**) والله يحب أن يديم فضله ويوالي إحسانه ، وإنما كان ذلك أرفق ، لأن النوم بعد القيام يريح البدن ، ويُذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر إلى الصباح ، وفيه من المصلحة أيضا استقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال ، وأنه أقرب إلى عدم الرياء لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم قوى ، فهو أقرب إلى أن يخفي عمله الماضي على من يراه انظر فتح الباري (٣/ ٢١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣٦) للحافظ ابن كثير ط . دار المعرفة .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧].

قال ابن عباس ومجاهد :

الأيد : القوة في الطاعة ، يعني ذو قوة في العبادة .

وروى عن ابن عباس عن قيام داود ﷺ : كانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ، ويبكي ببكائه كل شيء ، يُعرف بصوته الهموم والأحزان (١) .

وقد اشتمل حديث داود ﷺ على عبادتين جليلتين وهما : صلاة الليل ، أفضل الصلاة بعد المكتوبة ، وصيام يوم وإفطار يوم ، أفضل الصيام بعد صيام الفريضة .

أولاً : صلاة الليل :

ففي صلاة الليل من الفوائد العظيمة ، والثمرات الجليلة ، التي تحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجر ،وينور القلب ويُحسن الوجه ، ويُذهب الكسل ، وينشط البدن .

ولقد كان عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل حتى تفطر قدماه يناجي ربه يسأله العون والسداد والرشاد ، شأن النهم الذي لا يشبع من العبادة يوم أن امتثل أمر ربه تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري ـ حفظه الله ـ :

أي صلاة زائدة عن الفرائض الخمس وهي قيام الليل ، وهو واجب عليه ﷺ بهذه الآية ، وعلى أمته مندوب إليه مرغب فيه ، وعسى من الله تعالى تفيد القلوب ، ولذا فقد أخبر تعالى رسوله مبشراً إياه بأن يقيمه يوم القيامة مقاماً محموداً يحمده عليه الأولون والآخرون ، وهي الشفاعة العظمى حيث يتخلى

---

(١) البداية والنهاية (١ / ١٦) للحافظ ابن كثير ط . مكتبة الإيمان .

عنها آدم فمن دونه ... حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول أنا لها ، أنا لها ويأذن له ربه فيشفع للخليقة في فصل القضاء، ليدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وتستريح الخليقة من عناء الموقف وطوله وصعوبته [١] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ [المزمل: ١ - ٢].

فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل ، وترتيل القرآن ، إنها العبادة التي تفتح القلب ، وتوثق الصلة ، وتيسر الأمر ، وتشرق بالنور ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان [٢] .

قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا قام الليل . افتتح صلاته وقال : (**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** [٣] .

يصلي ركعتين ركعتين ، لا تسأل عن حسنهن وطولهن .

قال عبد الله بن الشخير رضي الله عنه : دخلت على رسول الله ﷺ (**فوجدته يُصلي ، ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء** [٤] .

يصلي عليه الصلاة والسلام حتى تتفطر قدماه ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فهو أعبد الناس ، وأشدهم لله خشية .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : (صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء . قيل : وما هممت به ؟، قال هممت أن أجلس وأودعه) [٥] .

---

(١) أيسر التفاسير (١ / ٨١٦-٨١٧) للشيخ أبي بكر الجزائري ط . مكتبة دار العلوم والحكم .

(٢) في ظلال القرآن ، الأستاذ سيد قطب ط . دار الشروق .

(٣) صحيح : رواه مسلم (٧٧٠) ، والترمذي (٣٤٢٠) ، وأحمد (٢٥١٠٣) .

(٤) حسن : رواه أبو داود (٩٠٤) ، والنسائي (١٢١٤) وحسنه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم (٢١٧٢٣) والمرجل : هو القدر إذا استجمع غلياناً.

(٥) صحيح : رواه البخاري (١١٣٥) ، ومسلم (٧٧٣) ، وأحمد (٣٧٦٦) .

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

ولقد ربّى عليه عليه الصلاة والسلام الجيل المبارك ، والرعيل الأول من أصحابه ﷺ على قيام الليل ، فكانت بيوتهم في آناء الليل مدارس تلاوة،ومعاهد إيمان ، وجامعات تربية ، يطول بهم الليل فيقصرونه بالقيام ، فلو رأيتهم قد سالت منهم الدموع ، وثبت في قلوبهم الخشوع ، فهم في قيام وسجود وركوع ، لو رأيتهم وقد هملت منهم العبرات ، وارتفعت منهم الزفرات، وضجوا إلى رب الأرض والسموات ، فإذا أسفر الصبح إذا هم الأسود شجاعة وإقداماً :

الْقَانِتُونَ الْمُخْبِتُون لِرَبِّهِمْ ... النَّاطِقُونَ بِأَصْدَقِ الأَقْوَالِ
يُحْيُونَ لَيْلَهُمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ ... بِتِلاوَةٍ وَتَضَرُّعٍ وَسُؤَالِ
وَعُيُونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِمْ ... مِثْلَ انْهِمَالِ الوَابِلِ الْهَطَّالِ
فِي اللَّيْلِ رُهْبَانٌ وَعِنْدَ جِهَادِهِمْ ... لِعَدُوِّهِمْ مِنْ أَشْجَعِ الأَبْطَالِ
وَإِذَا بَدَا عَلَمُ الرِّهَانِ رَأَيْتَهُمْ ... يَتَسَابَقُونَ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ
بِوُجُوهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ ... وَبِهَا أَشِعَّةُ نُورِهِ الْمُتَلالِي
وَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ الْكِتَابُ صِفَاتِهِمْ ... فِي سُورَةِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ الْعَالِي
وَبِرَابِعِ السَّبْعِ الطِّوَالِ صِفَاتُهُمْ ... قَوْمٌ يُحِبُّهُمُ ذَوُو إِدْلالِ
وَبَرَاءَةٍ وَالْحَشْرِ فِيهَا صِفَاتُهُمْ ... وَبِهَلْ أَتَى وَبِسُورَةِ الأَنْفَالِ[1]

قال الله تعالى :﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾

[السجدة : ١٦ - ١٧] .

(١) إغاثة اللهفان (٢١٧) الإمام ابن القيم ط . دار العقيدة .

قال العلامة السعدي رحمه الله :

ترتفع جنوبهم ، وترجع عن مضاجعها اللذيذة ، إلى ما هو الذ عندهم منه واحب إليهم وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى ﴿ **يَدْعُونَ رَبَّهُمْ** ﴾ في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما ﴿ **خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ جامعين بين الوصفين ، خوفاً أن ترد أعمالهم ، وطمعاً في قبولها، وخوفاً من عذاب الله ، وطمعاً في ثوابه ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ** ﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿ **يُنفِقُونَ** ﴾ ، ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ** ﴾ فلا يعلم أحد ﴿ **مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ من الخير الكثير والنعيم الغزير ، والفرح والسرور ، واللذة والحبور ، ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ كما صلوا في الليل ، ودعوا واخفوا العمل [١] .

وقال تعالى : ﴿ **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)** ﴾ [الذاريات : ١٧ - ١٨] .

قال الحسن البصري - رحمه الله - :

كابدوا قيام الليل ، فلا ينامون من الليل إلا أقله ، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر [٢] .

قال العباس بن عبد المطلب:كنت جاراً لعمر بن الخطاب، فما رأيت أحداً من الناس أفضل من عمر:إن ليله صلاة،وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس[٣].

وقال عبد الرحمن التيمي - رحمه الله - :

لأغلبن الليلة النفرعلى المقام فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه ،فبينا أنا قائم إذا برجل وضع يده بين كتفي، فإذا هو عثمان بن عفان قال: فبدأ بأم القرآن فقرأ ، حتى ختم القرآن ، فركع وسجد ، ثم أخذ نعليه فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا [٤] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤ / ١٢٧) العلامة السعدي ط . دار المدني .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٥٠) للحافظ ابن كثير ط . دار المعرفة .
(٣) حلية الأولياء (١/ ٥٤) .
(٤) صفة الصفوة (١/ ١٤٠) .

وعن ابن أبي أراكة قال :

صليت مع عليّ بن أبي طالب صلاة الفجر، فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كأنه عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال وقلب كفيه :لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ ـ يقصد أبا بكر وعمر وعثمان وبقية جحافل الصحابة ـ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى،قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله ، ما دووا كما تميد الشجرة في يوم الريح ،وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم غافلون، ثم نهض فما رأى ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم[١] .

قال ضرار بن حمزة الكناني :

أشهد بالله أني قد رأيت عليّ بن أبي طالب في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يتململ في محرابه ، قابضاً لحيته يتململ تململ السليم [٢] ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه الآن وهو يقول : هيهات هيهات غُري غيري ، قد بتُّتك[٣] ثلاثاً ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك [٤] يسير ، آهٍ من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق [٥] .

امْنَعْ جُـفُـونَكَ أنْ تَذُوقَ مَنَامَـا ... وَاذْرِ الدُّمُوعَ عَلَى الخُدُودِ سِجَامَا

وَاعْلَمْ بِأنَّـكَ مَـيِّتٌ وَمُـحَاسَبٌ ... يَا مَنْ عَلَى سُخْطِ الجَلِيلِ أقَامَا

للهِ قَـومٌ أخْـلَصُـوا فِي حُبِّـهِ ... فَرَضِيَ بِهِمْ وَاخْـتَـصَّـهُمْ خُدَّامَا

قَـومٌ إذَا جَـنَّ الظَّـلامُ عَـلَيْـهِـمُ ... بَاتُوا هُنَالِكَ سُجَّداً وَقِيَـامَا

خُمْصُ البُطُونِ مِنَ التَّعَفُّفِ ضُمَّراً ... لا يَعْـرِفُونَ سِوَى الحَلالِ طَعَامَا

---

(١) صفة الصفوة (١ / ١٤٠) .
(٢) السليم : أي اللديغ .
(٣) بتتك : طلقتك .
(٤) الخطر : القدر والمنزلة .
(٥) حلية الأولياء (١ / ٥٧) .

قال عمرو بن دينار :

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قوَّام الليل ، صوَّام النهار . إذا قام إلى الصلاة كان كأنه عود لا يتحرك [(١)] . ولم لا ؟ .

فأبوه الزبير بن العوام ، وأمه أسماء ، وجده أبو بكر ، وعمته خديجة ، وخالته عائشة ، وجدته صفية - رضي الله عنهم - عائلة مباركة .

وقال ثمامة : كان أنس رضي الله عنه يصلي حتى تقطر قدماه دماً ، وقد كان أشبه الناس صلاة برسول الله ﷺ .

وقال محمد بن الوزير :

كنت مع عبد الله بن المبارك في المحمل فانتهينا إلى موضوع بالليل ، وكان ثَمَّ خوف ، قال : فنزل ابن المبارك وركب دابته حتى جاوزنا الموضع ، فانتهينا إلى النهر ، فنزل عن دابته ، فجعل يتوضأ ويصلي حتى طلع الفجر [(٢)] .

وعن إسحاق بن إبراهيم الطبري قال :

ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ولا أرجى من الفضيل بن عياض ، كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مُترسلة ، كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ، ويسأل ، وكان أكثر صلاته بالليل قاعداً ، يلقى له حصير في مسجده ، فيصلي من أول الليل ساعة ثم تغلبه عينه ، ثم يقوم هكذا حتى يصبح [(٣)] .

أُولَئِكَ آبائي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ   إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ

فهل لك أيها الأخ المسلم أن تجعل لنفسك ولو ركعتين في ظلام الليل الدامس، حين ينزل سبحانه إلى سماء الدنيا نزولاً يليق به ، فتترك الفراش الدافئ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢١٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٥٣٢) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٧)

الوثير ، فتتوضأ فتسقط كل معصية وكل خطيئة وكل ريبة مع آخر قطر الوضوء ، فتصلي وتسأل الله الأجر والفضل والبر والسداد والرشاد .

ومما يعين المسلم على صلاة الليل :

- تذكر العبد وحشة القبر وظلمته وضمته .
- تذكر العبد الوقوف المهول ، يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم يُبعثر ما في القبور . ويحصل ما في الصدور .
- طلب الأجر والمثوبة من الله تعالى .

فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انجفل الناس إليه فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : (**أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام**) [١] .

- الاقتصاد في الكد نهاراً .
- قلة الطعام وعدم الإكثار منه .
- طيب المطعم .
- ترك المعاصي ، فالخطايا قيد للعبد ، وضنك ومهانة ومذلة .
- الاستعانة بالقيلولة نهاراً .

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٤٠١) ، وأحمد (٤٥١١) ، وابن ماجة (٣٢٥١) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٧٤٢) .

ثانياً : الصيـــام

لقوله النبي ﷺ : (**أحب الصيام إلى الله صيام داود**) .

والصوم ، خطة واضحة لتزكية القلب ، ودعم الإيمان ، واحتساب التعب والمشقة عند الله ، تعالى ، فليس الصوم معركة مُبهمة ضد الجسد ، ولكنه رياضة لها هدف ، وغراس ترجى منه ثمار ، فهو امتناع عن مطاوعة طبائع الغضب والاستفزاز ، والامتناع عن الطبائع المادية للبطن والفرج ، فهو يحرر إرادة الإنسان ويجعلها تبعاً لأوامر الله تعالى [1] .

وشهر رمضان هو المدرسة التي يتربى فيها الصائمون ، فيخرجون من هذا الشهر وقد تربت قلوبهم وجوارحهم على هذه الفريضة العظيمة ، وتلك الشعيرة الجليلة ، فيحافظون على صيام النافلة بقية العام .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٨٣) ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

خُذْ فى بَيَانِ الصَّوْمِ غَيْرَ مُقَعَّدِ … عِبَادَةَ سِرٍّ ضِدَّ طَبْعٍ مُعَوَّدِ
وصبراً لِفَقْدِ الإِلْفِ مِنْ حَالِ الصِّبَا … وَقَطْماً عَنِ المَحْبُوبِ المُتَعَوَّدِ
فَثِقْ فِيهِ بِالْوَعْدِ الْقَدِيمِ مِنَ الذى … لَهُ الصَّوْمُ يَجْزِى غَيْرَ مُخْلِفِ مَوْعِدِ
وحَافِظْ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ … لَخَامِسُ أَرْكَانٍ لِدِينِ مُحَمَّدِ
تُغَلَّقُ أَبْوَابُ الجَحِيمِ إِذَا أَتَى … وَتُفَتَّحُ أَبْوَابُ الجِنَانِ لِعُبَّدِ
تُزَخْرَفُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَحُورُهَا … لأَهْلِ الرِّضَا فِيهِ وَأَهْلِ التَّعَبُّدِ
وَقَدْ خَصَّهُ اللهُ الْعَظِيمُ بِلَيْلَةٍ … عَنْ أَلْفِ شَهْرٍ فُضِّلَتْ فَلْتَرَصَّدِ
فَارْغَمْ بِأَنْفِ قَاطِعِ الشَّهْرِ غَافِلاً … وَأَعْظِمْ بِأَجْرِ الْمُخْلِصِ المُتَعَبِّدِ
فَقُمْ لَيْلَهُ وَاطْوِ نَهَارَكَ صَائِماً … وَصُنْ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُوهٍ وَمُفْسِدِ

---

(١) رمضان وتزكية النفوس (١١) للمؤلف ط . مكتبة الإسراء .

فضائل الصيام :

للصائم دعوة لا ترد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(ثلاث دعوات مستجابات ، دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر)** (١) .

الصيام يهذب الغريزة الجنسية :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال ﷺ : **(يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة** (٢) **فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)** (٣) .

دعاء الملائكة للصائم :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(السحور أكله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله عز وجل وملائكته يُصلون على المتسحرين)** (٤) .

الصوم جُنّة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : **(قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزى به ، والصوم جنة : فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم ، والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه)** (٥) .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي (٣٥٩٨) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣١٣٠) .
(٢) الباءة : هي مؤن الزواج .
(٣) صحيح : رواه البخاري (٥٠٦٥) ، ومسلم (١٤٠٠) ، والترمذي (١٠٨١) .
(٤) حسن : رواه أحمد (١١٢٢٠) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٦٨٣) .
(٥) صحيح : رواه البخاري (٧٤٩٤) ، ومسلم (١١٥١) ، وأبو داود (٢٣٦٣) ، والنسائي (٢٢١٤) ، وأحمد (٧١٧٤) ، وابن ماجة (١٣٢٧) .

الصيام يشفع للعبد يوم القيامة :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ،ويقول القرآن ، منعته النوم بالليل فشفعني فيه : قال فيُشفعان**) [١] .

الصيام يباعد العبد عن النار سبعين سنة :

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**من صام يوما في سبيل الله بَعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**) [٢] .

الصيام سبب لدخول الجنة :

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**إن في الجنة باباً يقال له : الريان ، يدخل من الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد**) [٣] .

الصيام عبادة الأنبياء والمرسلين :

كان عليه الصلاة والسلام يكثر من صيام النافلة كالصيام في شهر شعبان ، وشهر الله المحرم ، وستة أيام من شهر شوال ، والتسع من ذي الحجة ، ومنهم يوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر ، ويومي الاثنين والخميس من كل أسبوع .

يصوم عليه الصلاة والسلام، فيواصل الليل بالنهار . ثلاثة أيام وأربعة لا يأكل شيئاً ، فيريد الصحابة أن يواصلوا كما يواصل فيقولﷺ : (**إني لست**

---

(١) صحيح : رواه الترمذي (١٦٢٣) ، واحمد (٦٦٢٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٨٢) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٨٤٠) ، ومسلم (١١٥٣) ، وأحمد (٧٩٧٧) ، وابن ماجة (١٧١٨) ، والنسائي .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١١٥٢) ، وابن ماجة (١٦٤٠) ، والنسائي (٢٢٣٦) .

كهيئتكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) [١] .

يُفيض الله عليه من الحكم والمعارف والفتوحات والإلهامات ما يسد مسد الطعام والشراب ، فيعطيه قوة الآكل والشارب فيقوى على العبادة من غير ضعف في القوة ، ولا كلال في الإحساس . يصوم في السفر والشمس حارة ، وقد التهب الجو .

قال أبو الدرداء ﷺ : (لقد رأيتنا ورسول الله في بعض أسفاره في اليوم الحار ، الشديد الحر ، وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة) [٢] .

وعن أبي سلمة ﷺ قال : سألت عائشة ﷺ عن صوم النَّبي ﷺ ، فقالت : **(كان يصوم حتى نقول : قد صام ، ويفطر حتى نقول : قد أفطر ، ولم أره صام شهر قط أكثر من صيامه من شعبان)** [٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(أفضل الصيام بعد رمضان ، شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة ، صلاة الليل)** [٤] .

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : **(من صام رمضان ، ثم أتبعه ستاً من شوال ، كان كصيام الدهر)** [٥] .

وعن أبي قتاده الأنصاري ﷺ ، أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام يوم

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١٩٦٤) ، ومسلم (١١٠٥) ، وأبو داود (٢٣٦٠) ، والترمذي (٧٧٨) ، وأحمد (٦١٢٥) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٠٨) ، وابن ماجة (١٦٦٢) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٩١) .

(٣) صحيح : رواه أبو داود (٢١٠٣) ، والترمذي (٧٣٦) ، والنسائي (٢٣٥١) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سُنن ابن ماجة برقم (١٧١٠) .

(٤) صحيح : رواه مسلم (١١٦٣)

(٥) صحيح : رواه مسلم (١١٦٤) ، واللفظ له ، وأبو داود (٢١٠٢) ، والترمذي (٧٥٩) وابن ماجة (١٧١٦) .

الاثنين ؟ قال :(**ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بُعثت ـ أو أنزل عليّ فيه ـ فقال : (صوم ثلاثة من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، صوم الدهر**) قال :وسُئل عن صوم يوم عرفة ؟ ، فقال : (**يكفر السنة الماضية والباقية**) قال : وسُئل عن صوم يوم عاشوراء ؟ ، فقال : (**يكفر السنة الماضية**) [١] .

وسئلت عائشة زوج النبي ﷺ : (**أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم.فقيل لها : من أي أيام الشهر كان يصوم ؟، قال : لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم**) [٢] .

وعن عبد الملك بن المنهال ، عن أبيه عن رسول الله ﷺ : (**أنه كان يأمر بصيام البيض** [٣] **الثالث عشر ،والرابع عشر ، والخامس عشر ويقول : هو كصوم الدهر ، أو كهيئة صوم الدهر**) [٤] .

صيام داود عليه السلام :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : (**أحب الصلاة إلى الصلاة صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً ، ويفطر يوماً**) [٥] .

والصوم عبادة مشروعة في الأمم السابقة .

صيام مريم عليها السلام :

قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦] .

ولقد سطر السالف الصالح رحمهم الله صفحات التاريخ بعبير تقواهم ،

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١١٦٢) ، وأبو داود (٢٠٨٦) ، وابن ماجة (١٧٣٠) ، والنسائي (٢٣٥٨) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (١١٦٠) ، وأبو داود (٢١١٧) ، والترمذي (٧٦٣) ، وابن ماجة (١٧٠٩) .

(٣) البيض : سميت بيضاء لاستضاءة السماء فيها بنور القمر

(٤) صحيح : رواه أبو داود (٢٤٤٩) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم (١٧٠٧)

(٥) سبق تخريجه (٨٧) .

ونسيم تعبدهم .

فعن الزبير بن العوام ﷺ ، عن جدة له يقال لها : (هيمه) قالت : كان عثمان يصوم الدهر ، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله ، فقتلوه وهو صائم [١] .

دخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وهو قائم يصلي بالليل . فقال : يا أمير المؤمنين . صوم بالنهار ، وسهر بالليل ، وتعب فيما بين ذلك ، فلما فرغ من صلاته قال : سفر الآخرة طويل ، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل [٢] .

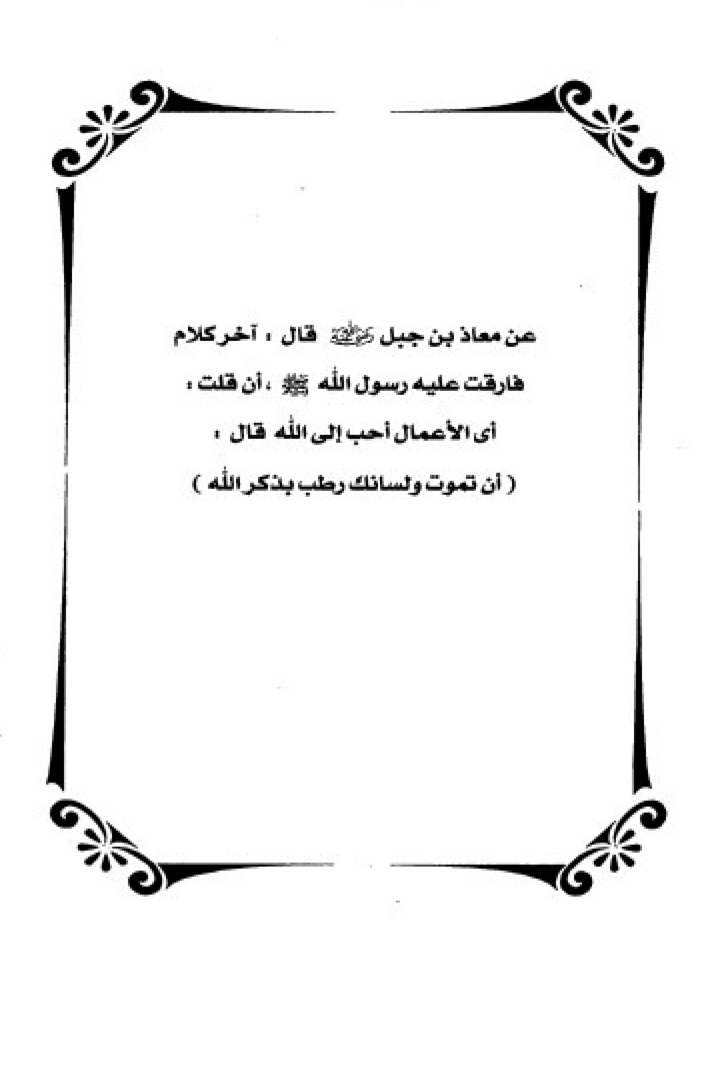
قال حماد بن زيد ، كان سعيد بن المسيب يسرد الصيام [٣] .

هذا كان حالهم، وهذا كان دينهم، فطوبى لمن جوع نفسه ليوم الشبع الأكبر ، وطوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الري الأكبر ، وطوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره ، وطوبى لمن ترك مقاماً ينفد في دار تفنى ، لدار ﴿ **أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾ [الرعد : ٣٥] .

مَنْ يُرِدْ تِلْكَ الجِنَانَ ... فَلْيَدَرْ عَنْهُ التَّوَانِي
وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ... إِلَى نُورِ القُرآنِ
وَلْيَصِلْ صَوْماً بِصَوْمٍ ... إِنَّ هَذَا العَيْشَ فَانِي
إِنَّمَا العَيْشُ جِوَارُ ... اللهِ فِي دَارِ الأَمَانِ

---

(١) حلية الأولياء (١ / ٥٦) .
(٢) حلية الأولياء (١ / ٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ١٣٢) ط . مكتبة الصفا .



عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : آخر كلام

فارقت عليه رسول الله ﷺ ، أن قلت :

أي الأعمال أحب إلى الله قال :

(أن تموت ولسانك رطب بذكر الله)



أحب الأعمال إلى الله
أن تموت ولسانك رطب بذكر الله

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ ، أن قلت أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : **(أن تموت ولسانك رطب بذكر الله)**[(١)] ، أي تلازم الذكر حتى يحضرك الموت وأنت ذاكر لله تعالى .

والذكر : هو منشور الولاية ، الذي من أعطيه اتصل ، ومن منعه عُزل وهو قوت قلوب القوم ، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت قُبوراً ، وهو منزل القوم الذي منه يتزودون ، وفيه يتجرون ، وإليه دائماً يترددون ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطاع الطرق ، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ، ودواءُ أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب ،والسبب الواصل،والعلاقة التي بينهم وبين علام الغيوب، وبه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات ، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم ، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون ، يدعُ القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكوراً ، وهو جلاءُ القلوب وصقالُها ، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها ، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً ، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقاً[(٢)] .

قال الله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

[البقرة : ١٥٢].

---

(١) حسن: رواه ابن حبان (٢٣١٨)، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٢) ، والبزار (٢٩٥) والطبراني في " المعجم الكبير (٢٠١٠٧٢) ، وابن المبارك في " الزهد " (١٣٤٠) وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٩٠٦) .

(٢) الداء والدواء (١٦٤) لابن القيم ـ مطبعة المدني .

قال سعيد بن جبير رحمه الله :

اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي، وأمر بشكره،ووعد على شكره بمزيد الخير فقال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [1] .
[إبراهيم : ٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ :

أمر الله عبده ورسوله محمداً ﷺ ، وغيره تبعاً ـ بذكر ربه في نفسه . أي : مخلصاً خالياً .﴿ تَضَرُّعًا ﴾ : أي بلسانك ، مظهراً شدة الاضطرار والزلة . ﴿ وَخِيفَةً ﴾ : في قلبك ، بأن تكون خائفاً من الله ، وجل القلب منه ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ أي: كن متوسطاً ، لا تجهر بصلاتك،ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴿ بِالْغُدُوِّ ﴾ أول النهار ﴿ وَالآصَالِ ﴾ آخره ﴿ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ الذين نسوا الله ، فأنساهم أنفسهم [2] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾ [الأحزاب : ٤١-٤٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال العذر ، إلا الذكر ، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله ، فقال : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [النساء : ١٠٣] .

وبالليل والنهار ، وفي البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٢٠٢) للحافظ ابن كثير ط . دار المعرفة .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٨٥) للعلامة عبد الرحمن السعدي ط دار المدني .

والصحة والسُّقم ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال ، وقال : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٢] .

(فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته) [١] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :قال رسول الله ﷺ : **(أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله)** [٢] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(لأن أقول سبحان الله ، و الحمد لله ، و لا إله إلا الله ، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس)** [٣]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(الدنيا ملعونة ملعون من فيها ، إلا ذكر الله وما ولاه ، وعالم ومتعلم)** [٤] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : إن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ذهب لأهل الدثور [٥] بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال رسول الله ﷺ : **(أو ليس قد جعل لكم الله ما تتصدقون به ، إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميده صدقة ، وكل تهليله صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة)** ، قالوا يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال رسول الله ﷺ : **(أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ ، فكذلك إذا وضعها في الحلال ، كان له أجر)** [٦] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من قال سبحان الله وبحمده ،**

---

(١) جامع البيان (٢٢ / ١٣) لابن جرير الطبري ط . الثقافة العربية .

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي (١٠٦٦٧) ، وابن ماجة (٣٨٠٠) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١١٠٤) .

(٣) صحيح : رواه مسلم (٢٦٩٠) ، والترمذي (٣٥٩٧) .

(٤) حسن : رواه الترمذي (٢٣٢٢) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٠٩) .

(٥) أهل الدثور : أهل الأموال .

(٦) صحيح : رواه البخاري (٨٤٣) ، ومسلم (١٠٠٦) ، وأبو داود (٩٥٠٤) ، وأحمد (٧٢٤٢) .

غُرست له بها نخلة في الجنة) [١] .

فكم ضيعنا من نخيل بسبب النوم الثقيل ، والعبث الطويل .

ورحم الله من قال:

اغْـتَنِمْ رَكْـعَـتَـيْنِ زُلْفَى إلى الله ... إذَا كُنْتَ فَارِغاً مُسْتَرِيحاً
وإذَا مَا هَمَمْتَ بالقول في الْبَاطِلِ ... فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحاً

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(... من قال :سبحان الله وبحمده ، في يوم مائة مرة ، حُطت خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر)** [٢] .

ولقد كان ﷺ سيد الذاكرين ، يذكر الله على كل أحيانه ، فهو أعبد الناس ، وأزهد الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس .

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ ... فَإِنَّ صِفَاتِهِ جَلَّتْ عَنِ الْحَصْرِ

وقال آخر:

كَفَاكَ عَنْ كُلِّ قَصْرٍ شَاهِقٍ عُمُدُه ... بَيْتٌ مِنَ الطِّينِ أَوْ كَهْفٌ مِنَ الْعَلَمِ
تَبْنِي الْفَضَائِلَ أَبْرَاجاً مُشَيَّدَةً ... نَصْبَ الْخِيَامِ الَّتِي مِنْ أَرْوَعِ الْخِيَمِ
إِذَا مُلُوكُ الْوَرَى صَفُّوا مَوَائِدَهُمْ ... عَلَى شَهِيٍّ مِنَ الْأَكَلَاتِ وَالْأُدُمِ
صَفَفْتَ مَائِدَةً لِلرُّوحِ مَطْعَمُهَا ... عَذْبٌ مِنَ الْوَحْيِ أَوْ عَذْبٌ مِنَ الْكَلِمِ

قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه) [٣] .

وعنها رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **(يا عائشة ، إن عينيَّ تنامان ، ولا ينام قلبي)** [٤] .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي (٣٥٣١) ، وابن حبان (٢٣٣٥) " موارد " وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٢٦).

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٩١) .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١٦٩) ، وأبو داود (١٥) ، وأحمد (٢٦٢٥٤) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٩٤٣) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٢٥٤٧) ، والنسائي (١٦٩٧) ، وأحمد (٤٤٠) ، وأبو داود (١٢١٢) .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ لم تستثن حالةٌ من حالةٍ ، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته ، وأما حال التخلي ، فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر،وانه لا يُخلُّ به عند قضاء الحاجة وبعدها، وكذلك شرع للأمة الذكر عند الجماع. وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل ، فلا ريب أنه لا يكره بالقلب ، لأنه لابد لقلبه من ذكر ، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شئ إليه ، فلو كلف القلب نسيانه ، لكان تكليفه بالمحال ، كما قال القائل :

يُرَادُ مِنِ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ   وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

أما الذكر باللسان على هذه الحالة ؛ فليس مما شُرع لنا ، ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ ، ولا نقل عن أحدٍ من الصحابة ﷺ ويكفي في هذه الحالة ، وهي من أجل الذكر ، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها ، واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى ، وإجلاله ، وذكر نعمته عليه ، وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له ، الذي لو بقي فيه لقتله ، فالنعمة في تيسير خروجه ، كالنعمة في التغذي به .

وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي من بها عليه ، وهي أجل نعمة الدنيا ، فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها ، هاج من قلبه هائج الشكر ، فالذكر رأس الشكر [(١)] .

ولقد عطر السلف ـ رحمهم الله ـ أنفاسهم بذكر الله تعالى ، وكانوا مضرب المثل في ذلك .

قال عكرمة ، كان أبو هريرة يسبح كل يوم اثنتي عشرة الف تسبيحة يقول :

---

(١) الوابل الصيب (١٢٨ - ١٢٩) لابن القيم ـ ط . دار بن الجوزي .

أسبح بقدر ديتي [١] .

وقال عبد الله بن أبي مُليكة ، صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة . فكان إذا نزل منزلاً ، قام شطر الليل ، يرتل ويُكثر من التسبيح [٢] .

وعن نافع قال ، كان ابن عمر يحي الليل صلاة ، ثم يقول : يا نافع أَسْحَرْنَا ؟ فأقول : لا . فيعاود الصلاة ، ثم يعاود الصلاة ، ثم يقول : يا نافع أَسْحَرْنَا ؟ فأقول : نعم . فيقعد ويستغفر ، ويدعوا حتى يصبح [٣] .

وعن نصيف قال ، رأيت سعيد بن جُبير صلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح . قال : فأتيته فصليت إلى جنبه ، وسألته عن آية من كتاب الله ، فلم يجيبني ، فلما صلى الصبح قال : إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلي الصبح [٤] .

وكان أبو مسلم الخولاني ، يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان ويقول : (اذكُرِ الله حتى يرى الجاهل انك مجنون) [٥] .

وكان معروف الكرخي ، يُسبح ألوف التسبيحات ، حتى كان إذا أتى فراشه لينام ، لا يستطيع أهله أن يناموا من كثرة تسبيحه .

أتى القصاص ليقص شاربه ، فأخذ في التسبيح . فقال له القصاص : اسكت وإلا قصصت شفتك . فقال : أنت تعمل وأنا أعمل [٦] .

قال سلمة بن شبيب ، كان خالد بن معدان يُسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن ، فلما مات ، وضع على سريره ليغسل ، فجعل بإصبعيه كذا يُحركها ـ يعني بالتسبيح ـ [٧] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٩٧) .
(٢) صفة الصفوة (١ / ٣٤٠) .
(٣) صفة الصفوة (١ / ٢٥٤) .
(٤) صفة الصفوة (٤ / ٢٨١) .
(٥) حلية الأولياء (٢ / ٢١٥) .
(٦) حلية الأولياء (٨ / ١٥٠) .
(٧) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢١٠) .

وقال الوليد بن سليم : رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه ، يذكر الله حتى تطلع الشمس [١] .

وعن موسى بن إسماعيل قال : لو قلت لكم إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً لصدقت، كان مشغولاً ، إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يسبح ، أو يصلي ، قد قسم النهار على ذلك [٢] .

وصدق من قال :

وَاللهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ ولاَ غَرَبَتْ ... إلاَّ وَحُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأنْفَاسِي
ولاَ جَلَسْتُ إلَى قَوْمٍ أُحَدِّثُهُمْ ... إلاَّ وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلاَّسِي

هذا كان حالهم ، وهذا كان دينهم ، أبقى الله لهم الذكر الحسن والثناء الجميل إلى قيام الساعة .

فَأيْنَ وَصْفُنَا مِنْ هَذِهِ الأوْصَافِ ... أيْنَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ مِنْ شَجَرِ الصَّفْصَافِ
لا تَعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا في ذِكْرِهِمْ ... لَيْسَ السَّلِيمُ إذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ

الذكر عبادة الكائنات :

لم يقتصر الذكر بكونه عبادة الإنسان والملائكة والجن فقط ، بل هو عبادة جميع الكائنات من أرضٍ وسماءٍ وشجرٍ ومدرٍ وجمادٍ ونبات ، بل العجب العُجاب أن ترى من هذه العوالم من يفخرون على الإنسان بكثرة ذكرهم وتسبيحهم لله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [البقرة : ١١٦] .

وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾ .

[الإسراء : ٤٤] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٨).

أولاً : الذكر عند الملائكة :

فالملائكة مستغرقة في طاعة الله تعالى ، يسبحون الله تعالى في الليل والنهار تسبيحاً لا ينقطع ، وهم يفخرون على بني الإنسان بذلك وَحُقَّ لهم أن يفخروا .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ .

[الصافات : ١٦٥-١٦٦] .

و قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٠] .

ثانياً : السموات والأرض :

قال الله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [الجمعة:١] .

وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [الإسراء:٤٤] .

قال القرطبي : أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل ، لما أسند إليها من فعل العاقل ، وهو التسبيح [(١)] .

ثالثاً : الجبـــال :

قال الله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

[الأنبياء : ٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[ص: ١٨] .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(ما من مُلَبٍ يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر ، حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا)** [(٢)] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢٦٦) .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجة (٢٩٢١) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٦٣٦٣) ، والمدر: جمع مدرة ، وهو التراب المتلبد .

رابعاً : الرعد :

قال الله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد :١٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : إن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ وقد اشتهر تسبيح الحصى ، وحنين الجذع ، ولم يُكَذِّبْ رُوَاتُها [(١)] .

خامساً : الجـــن :

فالجن مخلوقات عجيبة وغريبة، وهم مكلفون بالعبادة قبل خلق الإنسان فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ سورة " الرحمن " من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم ،كنت كلما أتيت على قوله :﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن:١٣]، **قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد »** [(٢)] .

سادساً : الشجر :

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(ما من مُلَبٍ يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر ، حتى تنقطع الأرض من هنا وهنا)** [(٣)] .

سابعاً : الحيتان :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :**(إنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض ، حتى الحيتان في البحر)** [(٤)] .

---

(١) فتح الباري (٦ / ٥٩٢) للحافظ ابن حجر .

(٢) صحيح : رواه الترمذي (٣٢٩١) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٢٦٢٤) .

(٣) صحيح : تقدم تخريجه ، (ص ١١٠) .

(٤) صحيح : رواه ابن ماجة (٢٣٩) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١٩٥) .

ثامناً : النمل :

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : **(إن الله وملائكته ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في البحر ، ليصلون على معلم الناس الخير)** [(١)] .

تاسعاً : الخيل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(إنه ليس من فرس عربي إلا يُؤذَنُ له مع كل فجر يدعو بدعوتين ، اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم ، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه)** [(٢)] .

عاشراً : الهُدهُد :

قص الله علينا من إنكاره على قوم بلقيس ، ودعوته للتوحيد ، وذكره لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)** ﴾ .

[النمل ٢٥-٢٦] .

الحادي عشر : عموم الطير :

قال الله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ** ﴾ [الأنبياء:٧٩] .

وقال تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ [النور : ٤١] .

الثاني عشر : الجماد :

قال الله تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ [الإسراء:٤٤] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى أنه يسبح له من في السموات

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في " الكبير " (١٢٣٧) وصححه الشيخ الألباني ، في صحيح الجامع برقم (١٨٣٨) .

(٢) صحيح : رواه النسائي (٤١٣٩) ، وأحمد (٢٣٤٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٤١٤) .

والأرض ؛ أي من الملائكة والناس والجان والحيوان ، حتى الجماد [١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [الزمر: ٧٥] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد [٢] .

آداب الذكر :

ينبغي على الذاكر لله تعالى أن يتأدب بآداب الذكر ، حتى يكون ذلك أدعى لحضور قلبه في حال ذكره لله تبارك وتعالى ، ولذلك كان الإمام أحمد ـ إمام أهل السُّنَّة والجماعة . إذا جلس يذكر الله كفكف نفسه ، وانضبط في جلسته ، كأن على رأسه الطير، فإذا سئل قال : أما يقول الله " **أنا جليس من ذكرني** " ؟ ، فهو معي . إذن ينبغي على الذاكر لله تعالى أن يتأدب بآداب الذكر .

وإليك أخي الكريم بعض الآداب التي تُعينك على ذكر الله تعالى :

أولاً : إخلاص النية لله تعالى:

وهي أهمها ذلك بأن يخلص الإنسان نيته لله تعالى ، ويبتغي من ذلك وجه الله ، متلذذاً بذكره ، مستأنساً بحلاوة مناجاته ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة : ٥] .

ثانياً : أن يكون الذاكر على أكمل الصفات:

فيكون فمه نظيفاً ، فإن الملائكة تستمع للقارىء عن قرب ، فإذا كانت رائحة فمه غير طيبة تأذت منه ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ؛ ولأن الذكر

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٢٩٧) ط . دار المعرفة .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٨٩) ط . دار المعرفة ، وانظر : ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله (٢ / ٩٢-٩٦) للدكتور سيد حسين العفاني ط .دار العفاني .

عبادة قلبية قولية ، فتنظيف الفم بالسواك عند ذلك أدبٌ حسن .

ثالثاً : أن يكون المكان الذي يذكر الله فيه نظيفاً :

وذلك لأن التنزه عن ملابسة النجاسة مُطلقاً مندوب إليه ، فتدخل حالة الذكر تحت ذلك دخولاً أولياً ، وإن لم يرد ما يدل على هذا على الخصوص ، والذكر عبادة ، ونظافة المكان أعظم في احترام الذكر ، وأدعى لاستحضار القلب ، ولهذا مُدح الذكرُ في المساجد لرفعتها .

قال الله تعالى : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** (٣٦) ﴾ [النور :٣٦] .

رابعاً : استقبال القبلة :

فإنها الجهة التي يتوجه إليها العابدون لله سبحانه ، والداعون له ، والمتقربون إليه ، وأن يجلس متذللاً ، متخشعاً بسكينة ووقار ، مُطرقاً رأسه .

قال النووي ـ رحمه الله ـ لو ذُكر الله على غير هذه الأحوال جاز ، ولا كراهة في حقه ، لكن إذا كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل ،والدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** (١٩٠) **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ [آل عمران : ١٩٠- ١٩١] [١] .

خامساً : خفض الصوت:

قال الله تعالى : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ** (٢٠٥) ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

تنبيـه :

قد وردت أحاديث تقتضي الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي الإسرار به والجمع بينهما : أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، وهذا في الوضع الذي

---

(١) الأذكار (٨ ـ ٩) للنووي .

لم يرد فيه دليل على الجهر أو الإسرار ، أما فيما أطلق ولم يُقيد : فقد يكون الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ، ولم يكن في الجهر ما يوشوش على مصل آخر ، فالجهر أفضل ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره ، والخير المتعدي أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همَّه إلى الفكر فيه، ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، وأنه يرجو بجهره تيقظ نائم، فيكون هو سبب إحيائه، ولأنه قد يره ، بطالاً غافلاً ، فينشط بسبب نشاطه ، ويشتاق إلى الخدمة ، فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل ، وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر ، وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار ، وتتضاعف أجورهم .

سادساً : تدبر ما يقول وتعقل معناه :

فإن جهل شيئاً تبينه ، فإن حضور القلب هو المقصود بالذكر ، ولا سبيل إليه إلا بذلك ، ولذلك كان علي ﷺ يقول : (**لا خير في عبادة لا فقه فيها ، ولا قراءة لا تدبر فيها**) [١] .

---

(١) ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله (١١١-١١٦) ، للدكتور / سيد حسين عفاني ، ط. دار العفاني بتصرف واختصار .

فوائد الذكر

اعلم أخي الكريم ،

أن للذكر فوائد جليلة ، وعوائد جزيلة ، وتأثيراً عجيباً في انشراح الصدر ، ونعيم القلب ، وإليك أيها الحبيب بعض فوائد الذكر :

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في فوائد الذكر ،

يرضي الرحمن ، ويطرد الشيطان ، ويزيل الهم ، ويجلب الرزق ، ويُكسب المهابة والحلاوة ، ويورث محبة الله ، وهو قوت القلب وروحه ، ويجلي صداه ، ويحط الخطايا ، ويُحدث الأنس ، ويُزيل الوحشة ، ويرفع الدرجات ، ويوجب تنزل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة ، ويؤمن من الحسرة يوم القيامة ، وهو مع البكاء سبب لإظلال العبد يوم الحشر الأكبر ، وهو أيسر العبادات وأجلها وأفضلها ، وهو غراس الجنة ، وشفاء القلب من الغفلة ، وهو يُسهل الصعب ، ويُيسر العسير ، ويخفف المشاق ، والملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب ، وإن دور الجنة تُبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء ، وإن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله تعالى عليها ، وكثرة الذكر أمان من النفاق [١] .

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٤٣) ، ابن القيم ، مكتبة الإيمان .



عن أبى ثعلبه الخشنى ﵁ ، أن رسول الله ﷺ قال :

(إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً ،

وان أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقاً ،

الثرثارون المتفيهقون ، المتشدقون) .

أحب الأعمال إلى الله

حُسن الخُلــق

فعن أبي ثعلبة الخشني ، أن رسول الله ﷺ قال : **(إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقاً ، الثرثارون المتفيهقون ، المتشدقون)** [١] .

ففي هذا الحديث العظيم بين ﷺ أن أفضل المؤمنين وأقربهم منه منزلة يوم القيامة أحسنهم خُلقاً .

قال الغزالي - رحمه الله - :

الخلق الحسن صفة سيد المرسلين ﷺ ، وأفضل أعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ، ورياضة المتعبدين . والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة ، والمهلكات الدامغة ، والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة ، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين ، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان ، وجوار الرحمن ، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب ، وأسقام النفوس ، إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد ، وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد ؟ .

ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان ، وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية ، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب ، وفي مرضها فوت حياة باقية أولى . وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت ، وترادفت العلل

---

(١) صحيح : رواه أحمد (١٧٦٦١) ، والطبراني في " الكبير " (٥٨٨) ، وابن حبان (١٩١٧) " موارد " وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٥٣٥) .

وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها، ثم إلى التشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس: ٩] ، وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (١) . [الشمس : ١٠] .

ولقد حدد رسول الله ﷺ الغاية الأولى من بعثته ، والمنهاج المبين من دعوته بقوله (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) (٢) .

فكان الرسالة التي خطّت مجراها في تاريخ الحياة ، وبذل صاحبها ﷺ جهداً كبيراً في مد شعاعها ، وجمع الناس حولها ، لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلها ، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم ، حتى يسعوا إليها على بصيرة .

وإنما شرعت العبادات في الإسلام واعتُبرت أركاناً في الإيمان من أجل حسن الخلق ، والقرآن والسنّة المطهرة ، يكشفان ـ بوضوح ـ عن هذه الحقائق ،

● فالصلاة المفروضة الواجبة عندما أمرنا الله بها أبان الحكمة من إقامتها ، فقال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

● والزكاة المفروضة هي في الحقيقة غرس لمشاعر الحنان والرأفة ، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات ، قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

● وكذلك شرع الإسلام الصوم ، فلم ينظر إليه إنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة،بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحظورة، ونزواتها المنكرة، وإقراراً لهذا المعنى قال رسول الله ﷺ : (**من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**) (٣) .

---

(١) إحياء علوم الدين (٣ / ١٧١) لأبي حامد الغزالي ط . دار الجيل بتصرف.

(٢) صحيح : رواه أبو داود (١٤٠٠) والبخاري في " الأدب المفرد " (٢٧)، وأحمد (٢١٨١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٤٥) .

(٣) صحيح : رواه البخاري (١٩٠٣) ، وأبو داود (٣٣٦٢)، والترمذي (٧٠٧) ، وابن ماجة (١٦٨٩) .

● كذلك الحج قال الله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

● فهذا العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام وعرفت على أنها أركانه الأصلية ، تستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق ، إنها عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها ، ولكنها تلتقي عند الغاية التي وضحها رسول الله ﷺ في قوله : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [١] .

فضيلة حُسن الخُلُق :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (إن المؤمن ليدرك بحُسن خُلقه درجة الصائم القائم) [٢] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ما من شيء أثقل في الميزان من حُسن الخُلق) [٣] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) [٤] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً) [٥] .

---

(١) سبق تخريجه ، (ص ١٢٠) .
(٢) صحيح : رواه أبو داود (٤٧٩٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٨٢) .
(٣) صحيح : رواه أبو داود (٤٧٩٨) ، والترمذي (٢٠٨٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١١١٨) .
(٤) صحيح : رواه أبو داود (٤٥٨٣) ،والترمذي (٢٦٧٦) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجة (٣٤) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٤٣) .
(٥) حسن : رواه أحمد (٦٧٦٧) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١١٧٦) .

أركـــان حُسن الخُلـــق :

قال ابن القيم رحمه الله : حسن الخلق يقوم على أربعة أركان ، لا يُتصور قيام ساقه إلا عليها وهي : الصبر ، والعفة ، والشجاعة ،والعدل :

أولاً : الصبر : فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، والحلم والأناة والرفق ، وعدم الطيش والعجلة .

ثانياً : العفة : فالعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير .

ثالثاً : الشجاعة : فالشجاعة تحمله على عزة النفس ، وإيثار معالي الأخلاق والشيم ، وعلى البذل والندي .

رابعاً : العدل : فالعدل يحمله على اعتدال أخلاقه ، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط ، ويحمله على خلق الجود والسخاء ، وعلى الشجاعة التي هي بين الغضب والمهانة [١] .

وأعظم الناس خلقاً، وأوفاهم للعهود وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورحمة وأشدهم تواضعاً، رسول الله ﷺ كان يُسمى قبل البعثة بالصادق الأمين.

قال المباركفوري ـ رحمه الله ـ : كان عليه الصلاة والسلام مُحلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مُثنياً عليه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤] وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس ، وحببه إلى القلوب ، وصيره قائداً تهوى إليه الأفئدة ، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء ، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً [٢] .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤] .

قال الرازي ـ رحمه الله ـ الأخلاق الحميدة ،والأفعال المُرضية كانت ظاهرة منه

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣١٠) لابن القيم ط . دار الكتاب العربي بتصرف واختصار .

(٢) الرحيق المختوم (٤٢٥) لصفي الرحمن المباركفوري ط . دار العلوم العربية .

عليه الصلاة والسلام ، ودلت الآية على أنه مُستعلٍ على هذه الأخلاق ، ومستولٍ عليها ، فإنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة ، كالمولى بالنسبة إلى العبد ، كانت عظيمة عالية الدرجة ، كأنها لقوتها وشدة كمالها من جنس أرواح الملائكة [1] .

فعن أنس رضي الله عنه قال : **(خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ، وما قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ ، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً . . .)** [2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : **(ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)** [3] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة) [4] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : **(كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياء من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عُرِفَ في وجهه)** [5] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : **(كان ﷺ يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته)** [6] .

وقيل لها رضي الله عنها ، ما كان رسول الله يعمل في بيته ؟ ، قالت : **(كان بشراً من البشر ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته)** [7] .

---

(١) مفاتح الغيب (١٥ / ٦٤٩ ـ ٦٥١) للفخر الدين الرازي ط ـ دار الغد العربي .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٢٣٣٠) ، والترمذي (٢٠١٥) .

(٣) **صحيح** : رواه البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧) .

(٤) **صحيح** : رواه البخاري (١٩٠٢) ، ومسلم (١١٠٨) ، وأحمد (٢٦١٦) .

(٥) **صحيح** : رواه البخاري (٣٥٦٢) ، ومسلم (٢٣٢٠) ، وابن ماجة (٤١٨٠) ، وأحمد (١١٧٠٠) .

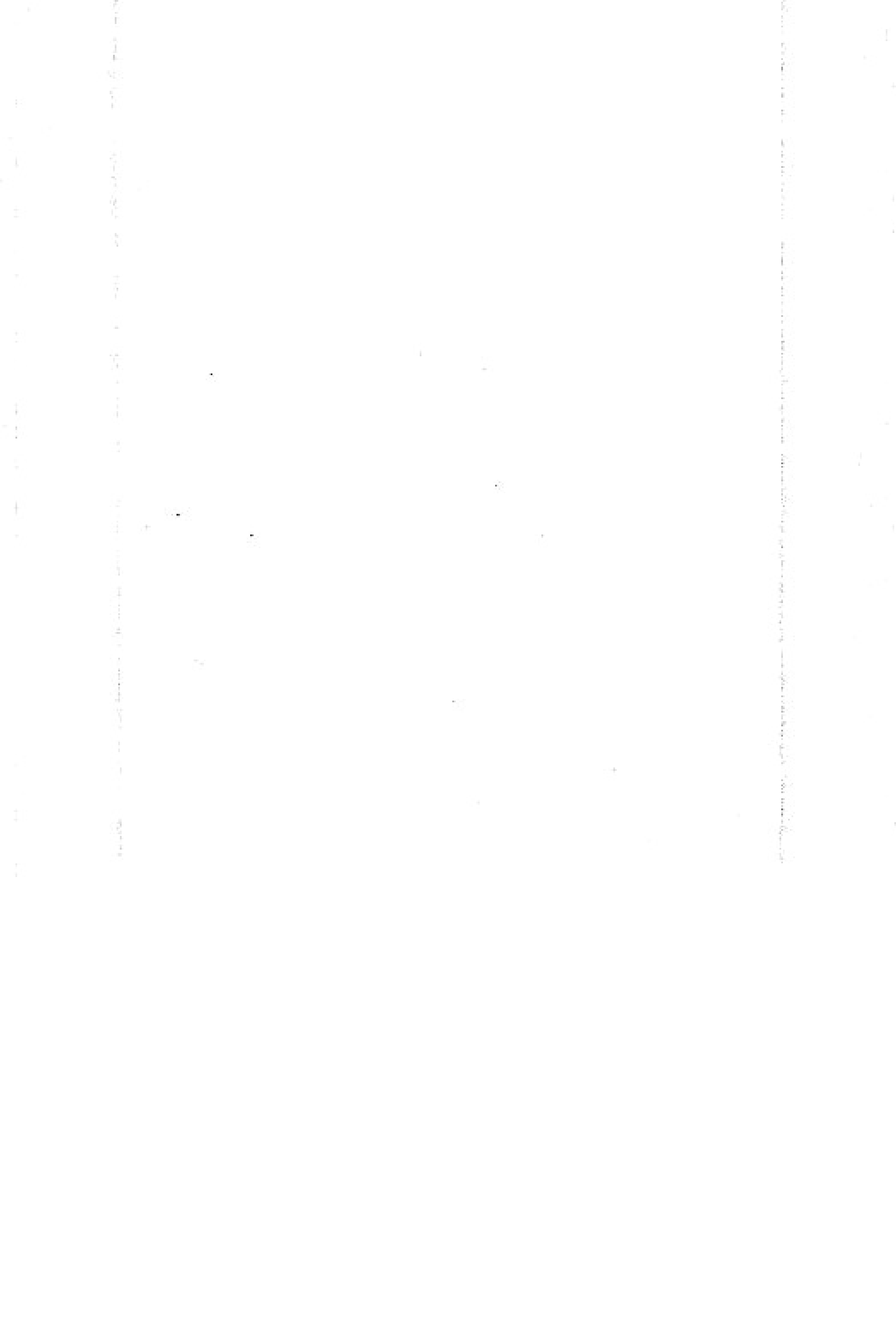
(٦) **صحيح** : رواه أحمد (٢٤٨٦١) ، وابن حبان (٥٦٧٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح " الأدب المفرد " برقم (٤١٩) .

(٧) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٤٢) وأحمد (٢٦٣٠٤) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٥٤١) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٦٧١) .



عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

(أحب الأسماء إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن)



أحـــب الأسمـــاء إلـــى الله

عبد الله وعبد الرحمن

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **(أحب الأسماء إلى الله ، عبد الله وعبد الرحمن)** [١] .

ففي الحديث الشريف بيان شمولية الإسلام ، وتشريعه المتكامل ، واعتنائه واهتمامه بهذه الظاهرة الاجتماعية ، ولذلك وضع لها من الأحكام ما يشعر بأهميتها والاعتناء بها ، ومن هنا كان من حق الأبناء على آبائهم أن يتخيروا وينتقوا لأبنائهم أحسن الأسماء وأجملها ، تنفيذاً لما أرشد إليه رسول الله ﷺ .

وإليك أخي الكريم بعض الأحكام التي وضعها الإسلام في تسمية المولود:

متى يُسمى المولـــود :

يجوز تسمية المولود في اليوم الأول من ولادته ، ويدلل على ذلك ما رواه أبو موسى رضي الله عنه أنه قال : **(ولد لي غلام ، فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة)** [٢] .

فهذا الحديث يقضي بأن تكون التسمية في اليوم الأول .

ويجوز أيضاً تسمية المولود في اليوم السابع ، لما دل على ذلك حديث سمرة ابن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(كل غلام رهينة بعقيقته : تذبح عنه**

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢١٣٣) ، وأبو داود (٤٩٤٩) ، والترمذي (٢٨٣٣) ، وابن ماجة (٣٧٢٨) ، وأحمد (١٨٩٣٢) .
قال القرطبي : يلحق بهذين الاسمين ما كان مثلهما كعبد الرحيم وعبد الملك وعبد الصمد ، وإنما كانت أحب إلى الله لأنها تضمنت ما هو وصف واجب لله وما هو وصف للإنسان وواجب له وهو العبودية ، ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية فصدقت أفراد هذه الأسماء وشرفت بهذا التركيب فحصلت لها هذه الفضيلة . انظر فتح الباري (١٠ / ٥٨٥) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢١٤٥) .

يوم سابعه ، ويحلق ويسمى) [١] .

وهذا الحديث أيضاً يقضي بأن تكون التسمية في اليوم السابع ، ولا تعارض بين الحديثين ، فالتسمية جائزة في اليوم الأول وفي اليوم السابع .

ما يُحب من الأسماء وما يكره :

ينبغي على الأبوين أن يتخيرا لأبنائهما أحسن الأسماء وأطيبها ، لما دل عليه الحديث السابق أن أحب الأسماء عند الله عبد الله وعبد الرحمن.

فعن أبي وهب الجُشمي قال :قال رسول الله ﷺ : **(تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومُرة)** [٢] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما،أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية،وقال :**(أنت جميلة)**[٣] .

وعن محمد بن عمرو بن عطاء ، أن زينب بنت أبي سلمة سألته : ما سميت ابنتك ؟ قال: سميتها برة ، فقالت : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم فقال: **(لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم)** فقال ما نسميها ؟ ، قال : **(سموها زينب)** [٤] .

وعن سمرة بن جندب ، قال :قال رسول الله ﷺ : **(لا تسمين غلامكم يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح فإنك تقول: أثمَّ هو ؟ فيقول لا)** [٥] .

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود (٢٨٣٨) وصححه الشيخ الألباني في الإرواء برقم (٣٨٦٤) .

(٢) **صحيح** : رواه أبو داود (٤٩٥٠) ، وأحمد (٣١٤١) ، والنسائي بنحوه (٣٥٦٥) وصححه الشيخ الألباني في المشكاة برقم (٤٨٧٢)، وقال: صحيح دون قوله ﷺ : (تسموا بأسماء الأنبياء).

(٣) **صحيح** : رواه مسلم (٢١٣٩) ، وأبو داود (٤٩٥٢) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (٨٢٨)، والترمذي (٢٨٣٨) ، وابن ماجة (٣٧٣٣) . وأحمد (٢١٨) .

(٤) **صحيح** : رواه البخاري (٦١٩٢) ، ومسلم (٢١٤١) مختصراً ، وأبو داود (٤٩٥٣) واللفظ له .

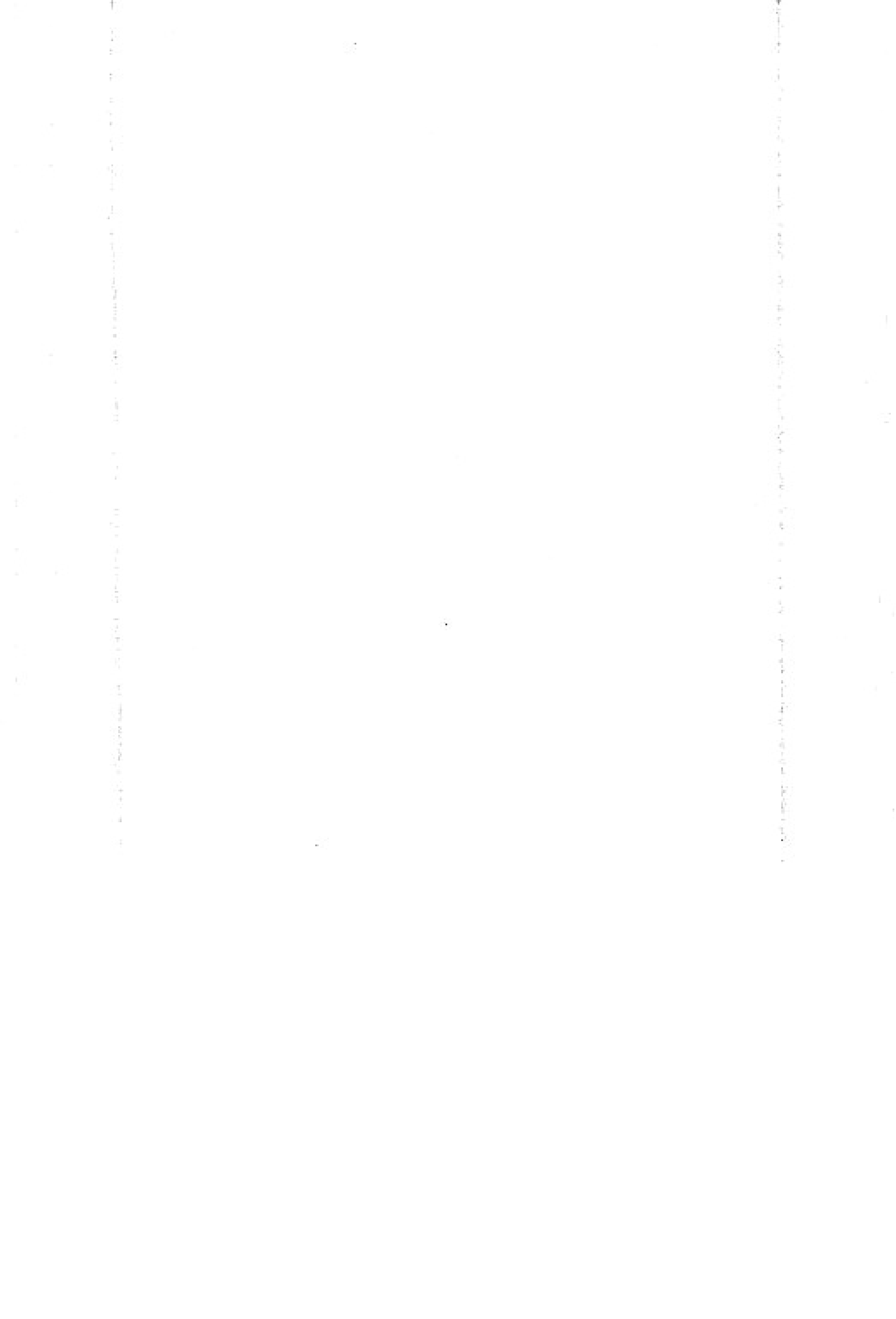
(٥) **صحيح** : رواه مسلم (٢١٣٧)، وأبو داود (٤٩٥٨)، والترمذي (٢٨٣٦)، وأحمد (٢٩٤٢) ، وابن ماجة (٣٦٣٠) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**أخنع اسم عند الله تبارك وتعالى يوم القيامة ، رجل تسمى ملك الأملاك**) [١] .

فينبغي عليك أيها الأخ الكريم أن تتخير لأبنائك أطيب الأسماء وأفضلها ، وتجنبهم الأسماء التي نهى عنها رسول الله ﷺ وكذلك الأسماء التي فيها تميع وغرام ، وتشبه بالكافرين والكافرات ، كهيام ، وهيفاء ، وناريمان ، ونانسي ، وما شابهها من الأسماء التي لا تحمل معناً طيباً ، حتى تتميز الأمة الإسلامية بشخصيتها عن غيرها ، وتعرف بخصائصها وذاتيتها .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٢٠٦) ، ومسلم (٢١٤٣) ، وأبو داود (٤٩٦١) واللفظ له ، والترمذي (٣٠٠٥) ، وأحمد (١١٢٧) .





عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبى ﷺ قال :

(ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله

من هذه الأيام ، قالوا : يا رسول الله، ولا الجهاد فى سبيل

الله ؟ ، قال : ولا الجهاد فى سبيل الله : إلا رجل خرج

بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ » .

أحب الأعمال إلى الله
العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة

فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : (**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام** ـ يعني أيام العشر ـ قالوا يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟، **قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**)[١] .

ولعظم منزلة هذه الأيام العشر أقسم الله بها في كتابه الكريم :

قال الله تعالى: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج : ٢٨] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الأيام المعلومات : أيام العشر[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ [الفجر : ١ ـ ٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (لما سُئل عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان، أيهما أفضل؟، قال :أيام العشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان،وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من عشر ذي الحجة)[٤] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة : لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها ، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ولا يأتي ذلك في غيره)[٥] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٩٦٩) ، وأبو داود (٢١٠٧) ، والترمذي (٧٥٧) ، وابن ماجة (١٧٢٧) ، وأحمد (١٩٦٨) .

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٦٦) للحافظ ابن كثير ، ط. دار المعرفة .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٣٩) للحافظ ابن كثير ، ط. دار المعرفة .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٢٨٧) ط. دار الرحمة .

(٥) فتح الباري (٢ / ٤٦٠) للحافظ ابن حجر ط. الريان للتراث .

ما يستحب فعله في هذه الأيام :

أولاً : حري بالمسلم أن يستقبل مواسم الخير والعبادة بالتوبة الصادقة ، فهي أول المنازل ، وأوسطها ، وآخرها ، وما حرم الإنسان خيراً في الدنيا أو الآخرة إلا بسبب ذنوبه .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

والذنوب سبب البعد والطرد من رحمة الله ، والطاعات سبب القرب والود .

وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

فسارع أخي الكريم إلى التوبة النصوح ، والعود الكريم إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى : ٢٥] .

ثانياً : الصلاة يستحب التبكير إلى الفرائض،وخاصة في صلاة الفجر، وذلك في هذه الأيام وغيرها ، والإكثار من النوافل ؛ فإنها أفضل القربات .

ثالثاً : الصيام لدخوله في جملة الأعمال الصالحة ، فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : (**كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر**) [1] .

---

(١) صحيح : رواه أبو داود (٢١٠٦) ، وأحمد (١٦١٣٥) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٢٣٧٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من صام يوماً في سبيل الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً)** [١] .

وعن قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(صوم يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية)** [٢] .

رابعاً: الحج والعمرة فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(العمرة للعمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)** [٣] .

خامساً: التكبير والتهليل والتحميد: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من أيام أعظم عند الله سبحانه ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد)** [٤] .

قال البخاري ـ رحمه الله ـ: كان عمر يكبر في قُبّته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل السوق، حتى ترتج منى تكبيراً.

وكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه، تلك الأيام جميعاً.

والمستحب: الجهر بالتكبير والتهليل والتحميد للرجال، لفعل عمر وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم، والنساء يكبرن، ولكن يخفضن الصوت، لما جاء في حديث أم عطية رضي الله عنها قالت: (كنا نأمر أن نخرج يوم العيد، حتى نخرج البكر من خدرها، ونخرج الحُيّض فيكن خلف الناس، فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته) [٥] .

---

(١) سبق تخريجه، (ص: ٩٧) .

(٢) سبق تخريجه، (ص: ٩٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٧٧٣) ، ومسلم (١٣٣٧) ، وأحمد (٧٣٤٨) .

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥٤٤٦) وصححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم (٦١٥٤) .

(٥) صحيح: رواه البخاري (٩٧١) ، ومسلم (٨٩٠) ، وأبو داود (١١٣٦) .

فحري بنا ـ نحن المسلمين ـ أن نحيي هذه السُّنَّة الضائعة التي هُجرت في هذه الأيام ، وننسيها حتى أهل الخير والصلاح " وإنا لله وإنا إليه راجعون " .

والتكبير نوعان : مطلق ومقيد .

ففي العشر الأول من ذي الحجة يُشرع التكبير المطلق حتى آخر أيام التشريق ، وأما التكبير المقيد فيكون في أدبار الصلوات المفروضة ، من صلاة الصبح في يوم عرفة إلى صلاة العيد من آخر أيام التشريق ، وقد دل على مشروعية ذلك فعل الصحابة ﷺ وصفة التكبير المستحبة أن يقول : (الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد) .

أو (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد) فبادر أخي الكريم إلى اغتنام هذه الأوقات ، وتلك الساعات من هذه الأيام الفاضلة المباركة ، واعلم أن الحرص على العمل الصالح في هذه الأيام العظيمة هو من المسارعة إلى الخير ، ودليل على التقوى قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج : ٣٢]

تَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لا تَدْرِي ... إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ

فَكَمْ مِنْ فَتَى أَمْسَى وَأَصْبَحَ ضَاحِكاً ... وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لا يَدْرِي

وَكَمْ مِنْ عَرُوسٍ زَيَّنُوهَا لِزَوْجِهَا ... وَقَدْ قُبِضَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

وَكَمْ مِنْ صِغَارٍ يُرْتَجَى طُولُ عُمْرِهِمْ ... وَقَدْ أُدْخِلَتْ أَجْسَادُهُمْ ظُلْمَةَ الْقَبْرِ



عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

(أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عن قربة ، أو تقضى عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ...)

أحب الأعمال إلى الله
سرور تدخله على مسلم

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال : (**أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عن قربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ، ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام ،وإن سوء الخلق ليفسد العمل ،كما يفسد الخل العسل**)[١] .

ففي هذا الحديث الشريف بين ﷺ بعض الحقوق الواجبة على كل مسلم تجاه أخيه المسلم ، والتي إذا تربى عليها المسلمون جاءت بأعظم الثمار ، وكانت سبباً في نجاح مجتمعاتهم ، وانتشرت بينهم معاني الحب والود ، والأخوة ، والتناصر ، والتناصح ، والمواساة ، وكان ذلك سبباً في زوال الغربة والوحشة ، وسبباً في زوال فوارق النسب واللون والوطن؛ لأنهم كالجسد الواحد والبنيان الواحد يشد بعضه بعضاً .

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضواً ، تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى**)[٢] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**المؤمن للمؤمن كالبنيان**

---

(١) حسن : رواه الطبراني في " الكبير " (١٤٥١) ، وحسنه الشيخ الالباني في صحيح الجامع برقم (١٧٦) والصحيحة برقم (٩٠٦) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) .

يشد بعضه بعضاً) [١] .

وإليك أخي الكريم بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم :

والتي منها : أن تجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب ، وتحب له ما تحبه لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** [٢] .

ومنها : أن تعوده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات .

فعن ثوبان ،عن النبي ﷺ قال : **(إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم ، لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع)** [٣] .

ومنها : الإحسان إلى كل من يقدر أن يُحسن إليه من المسلمين ، وأن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ، ويسعى في قضاء حوائجهم .

وإليك أخي الكريم نموذجين مباركين يضربان أروع الأمثلة في الإيثار والمواساة ، والقيام على حوائج المسلمين :

فعن إبراهيم بن سعد رضي الله عنه عن أبيه عن جده ، قال : (لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، قال سعد لعبد الرحمن : إني أكثر الأنصار مالاً ، فاقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال : **بارك الله لك في أهلك ومالك)** [٤] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) .
(٢) صحيح : رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) .
(٣) صحيح : رواه مسلم (١٥٦٨) .
(٤) صحيح : رواه البخاري (٣٧٨٠) ، والترمذي (١٩٣٣) ، وابن ماجة (١٩٠٧) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم من طعام في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم)** [(١)] .

وصدق علي رضي الله عنه حين قال :

إِنَّ أَخَاكَ الحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكْ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكْ ... شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ :

إِذَا المَرْءُ لا يَلْقَاكَ إِلاَّ تَكَلُّفاً ... فَدَعْهُ وَلا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّأَسُّفَا
فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ ... وَفِي القَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهْوَاهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ ... وَلا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الوِدَادِ طَبِيعَةً ... فَلا خَيْرَ فِي وِدٍّ يَجِيءُ تَكَلُّفَا
وَلا خَيْرَ فِي خِلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ ... وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ المَوَدَّةِ بِالجَفَا
وَيُنْكِرُ عَيْشاً قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... وَيُظْهِرُ سِرّاً كَانَ بِالأَمْسِ فِي خَفَا
سَلامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الوَعْدِ مُنْصِفَا

● **ومنها** ، أن يخالق المسلمين بخُلق حسن ، وأن يخفض لهم الجناح ، ويلين معهم في المقال والفعال ، فيلقى الجاهل بالعلم والبيان والغافل بالتذكير .

قال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٤٨٦) ، ومسلم (٢٥٠٠) .

مغفرة وأجراً عظيماً (٢٩) ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ [الحجر : ٨٨] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن)** (١) .

● **ومنها** : أن تستر عوراتهم ، وأن لا تؤذي أحداً منهم بقول ولا فعل . فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : **(من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)** (٢) .

● **ومنها** : عدم التباغض والتحاسد والتناجش والتدابر ، وألا يزيد المسلم في هجره لأخيه على ثلاثة أيام ، والهجر إنما يكون فيما يتعلق بالدنيا ، أما حق الدين ، فإن هجر أهل البدع والأهواء والمعاصي ينبغي أن يدوم ، ما لم يظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق ، والأمر مبناه على المصلحة والمفسدة .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال : **(لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)** (٣) .

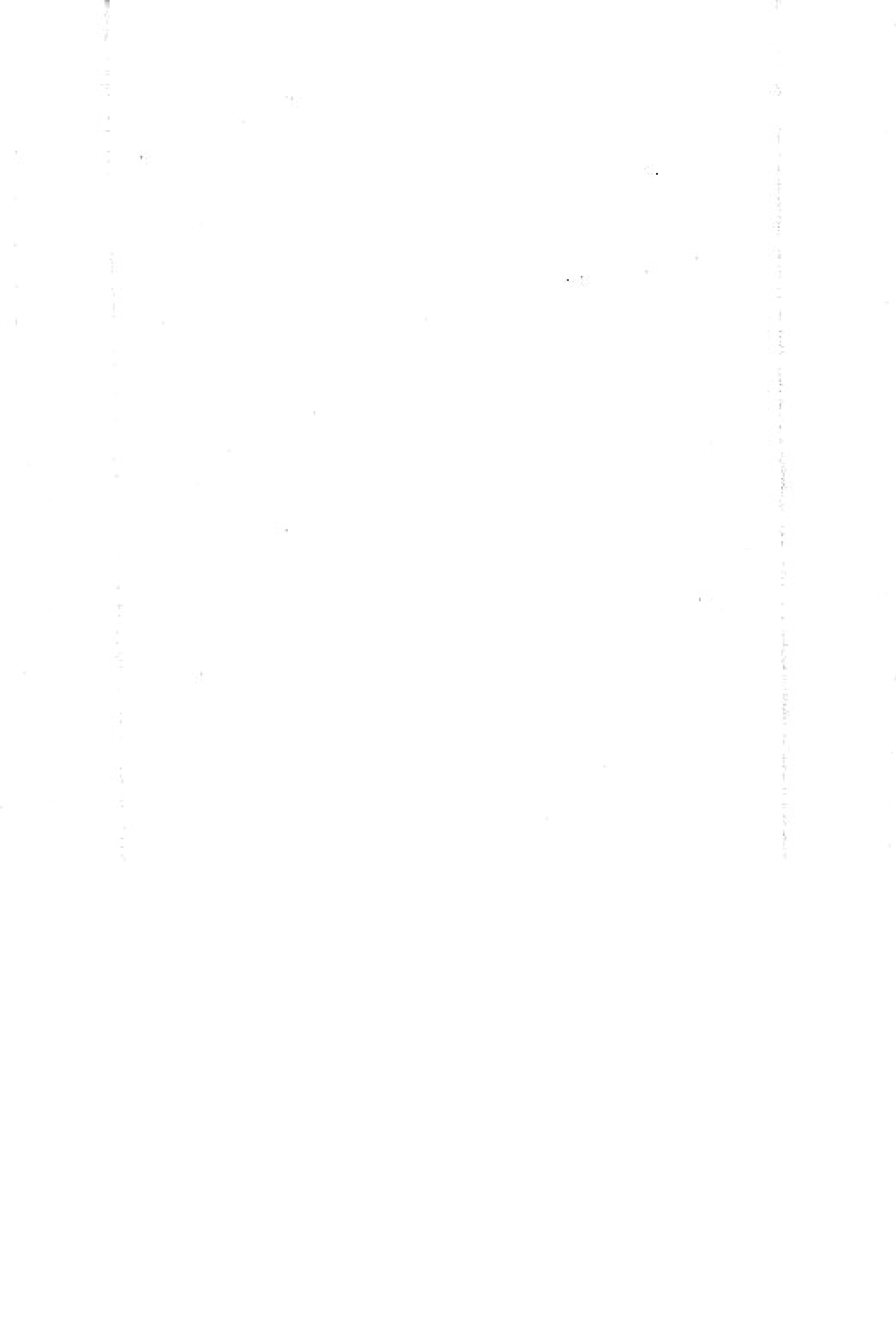
---

(١) حسن : سبق تخريجه ، (ص ١٢١) .
(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٦٩٩) .
(٣) صحيح : رواه البخاري (٦٠٦٥) ، ومسلم (٢٥٥٩) .



عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

(أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) .



أحب الأعمال إلى الله
أدومها وإن قل

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **(أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ)** (١) .

ففي هذا الحديث العظيم بيان رأفة النبي ﷺ بامته ، وشفقته عليهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم ، وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه من العبادة ، ونهيهم عن إجهاد النفس في فعل النوافل والمستحبات ، التي يخاف عليهم الملل والسآمة بسببها ، أو تركها بالكلية ، أو ترك بعضها .

قال بعض الأنجاب : لا تقطع الخدمة وإن ظهر لك عدم القبول ، وكفي بك شرفاً أن يقيمك في خدمته (٢) .

ولقد كان ﷺ أعبد الناس ، وأخشاهم لله ، ومع ذلك كانت عبادته قصداً بين الطول والقصر ، يصوم ويفطر ، ويصلي وينام ، فهو القائل ﷺ : **(أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة)** (٣) .

وما خُيِّر ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن معصية .

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : **(كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً ، وخطبته قصداً)** (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(... سددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشيْءٌ من الدُّلجة ، والقصد القصد تبلُغوا)** (٥) .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٤٦٥) ، ومسلم (٧٨٢) ، وأحمد (١٠٣٨٣) .

(٢) فيض القدير (١ / ٢١٥) للعلامة محمد عبد الرؤف المناوي ط . دار الكتب العلمية .

(٣) حسن : رواه البخاري في " الأدب المفرد " (٢٨٣) ، وأحمد (٢١٠٨) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٨٨١) .

(٤) رواه مسلم (٨٦٦) .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٦٤٦٣) والدلجة آخر الليل .

وقد ربّى عليه الصلاة والسلام أصحابه ﷺ على التوسط والاعتدال في العبادة . فهل أتاك نبأ الثلاثة اللذين تقالّوا عبادة النّبي ﷺ .

فعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النّبي ﷺ يسألون عن عبادة النّبي ﷺ فلما أُخبروا ، كأنهم تقالّوها وقالوا : أين نحن من النّبي ﷺ وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ، قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : لأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .فجاء رسول الله ﷺ فقال : (**أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سُنّتي فليس منّي**) [١] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ وحبل ممدود بين ساريتين فقال : (**ما هذا ؟**) قالو : لزينب ، تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به ، فقال : (**حُلّوه ليُصلِّ أحدكم نشاطه . فإذا كسل أو فتر قعد**) ، وفي حديث زهير " فليقعد " [٢] .

وعن حنظلة الأسدي رضي الله عنه وكان من كتاب رسول الله ﷺ (قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت ؟ ، ياحنظلة ! قال قلت : نافق حنظلة . قال سبحان الله ! ما تقول . قال قلت: نكون عند رسول الله ﷺ فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر ! فوالله ! إنا لنلقي مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله قلت : نافق حنظلة يا رسول الله: فقال رسول الله ﷺ : (**وما ذاك**) قلت :يا رسول الله ! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) ، والنسائي (٣٢١٧) .
(٢) صحيح : رواه البخاري (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) .

(والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات -) [١] .

إذن فالتوسط والاعتدال ، والعمل القليل المستمر ، المداوم عليه ، أفضل وأبرك من العمل الكثير ، الذي سرعان ما يتركه العبد ، وينقطع عنه ، ولذلك ذم الله تعالى أقواماً أكثروا من العبادة، ثم فرطوا فيها ،كالذي نقض عهده بعد توكيده .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ [النحل:٩٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد : ٢٧] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **(يا عبد الله ! لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل ، فترك قيام الليل)** [٢] .

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٧٥٠) ، والترمذي (٢٥١٤) ، وابن ماجة (٤٢٣٩) ، وأحمد (١٧٨١٤) ، والطبراني في " الكبير " (٣٤٩٠) . والبيهقي في " الشعب " (١٠٢٨) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (١١٢٥) ، ومسلم (١١٥٩) .

الخاتمة

نسأل الله حسنها

هذا ما يسر الله لي جمعه في هذا الباب ،فما كان فيه من خير فمن الله وحده ، فله الحمد على توفيقه ، وما كان فيه من خطأ فإني أتوب إلى الله عز وجل منه ، وأتبرأ إلى الله من كل قول خالف أوامر الله عز وجل ، وسُنّة رسوله ﷺ .

وإنْ تجِدْ عَيْباً فَسُدَّ الخَلَلا جَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فِيهِ وَعَلا

وأختم هذا الكتاب بقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ،

إلهي ، لا تعذب لساناً يخبر عنك ، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدماً تمشي في خدمتك ، ولا يداً تكتب حديث رسولك ﷺ .

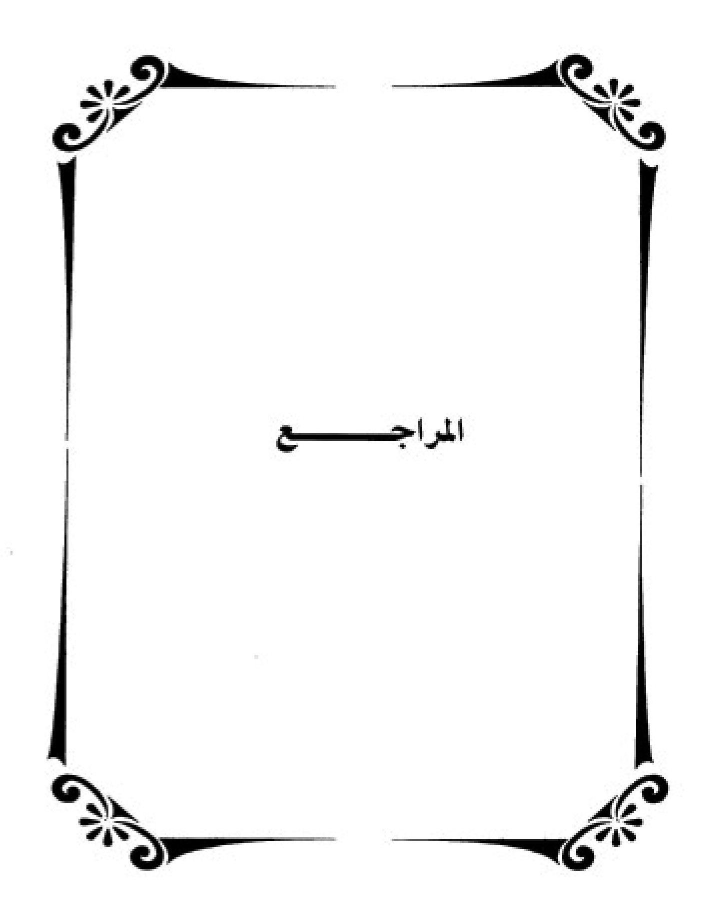
هذا والله أعلى وأعلم ، وسبيله أهدى وأقوم ، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

مسعد حسين محمد

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



المراجـــــع



المراجـــــع

أ ـ كتب في العقيدة :

[١] مجموع الفتاوى ـ لشيخ الإسلام أحمد بن تيميه ـ دار الرحمة للنشر .

[٢] معارج القبول ـ الشيخ حافظ أحمد حكمي ـ مركز الهدى للدراسات .

[٣] الكواشف الجلية عن معاني الوسطية ـ عبد العزيز السلمان ـ مكتبة الرياض الحديثة .

[٤] المنة شرح اعتقاد أهل السنه ـ الشيخ ياسر برهامي ـ دار الخلفاء .

[٥] فضل الغني الحميد ـ الشيخ ياسر برهامي ـ دار الإيمان .

ب ـ كتب في التفسير :

[١] تفسير القرآن العظيم ـ للحافظ ابن كثير ـ دار المعرفة .

[٢] جامع البيان ـ لابن جرير الطبرى ـ دار الثقافة العربية .

[٣] الجامع لاحكام القرآن ـ أبي عبد الله محمد القرطبي ـ النور الإسلامية .

[٤] أضواء البيان ـ لمحمد بن أمين الشنقيطي ـ مطبعة المدني .

[٥] الكشاف ـ للإمام محمد بن عمر الزمخشرى ـ دار الريان .

[٦] محاسن التاويل ـ محمد جمال الدين القاسمي ـ دار إحياء التراث العربي .

[٧] تيسير الكريم الرحمن ـ عبد الرحمن ناصر السعدى ـ دار المدني .

[٨] مفتاح الغيب ـ لفخر الدين الرازى ـ دار الغد العربي .

[٩] أيسر التفاسير ـ للشيخ أبو بكر الجزائرى ـ مكتبة دار العلوم والحكم .

[١٠] في ظلال القرآن ـ الأستاذ سيد قطب ـ دار الشروق .

جـ . كتب في الحديث :

[١] فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ لابن حجر العسقلانى ـ دار الريان .

[٢] مسلم بشرح النووى ـ للإمام محى الدين إلنووى ـ مكتبة الإيمان .

[٣] صحيح سُنن أبى داود ـ تخريج الشيخ الألبانى ـ مكتبة المعارف .

[٤] صحيح سُنن الترمذى ـ تخريج الشيخ الألبانى ـ مكتبة المعارف .

[٥] صحيح سُنن النسائى ـ تخريج الشيخ الألبانى ـ مكتبة المعارف .

[٦] صحيح سُنن ابن ماجة ـ تخريج الشيخ الألبانى ـ مكتبة المعارف .

[٧] سُنن الدارمى ـ أبى عبد الله بن عبد الرحمن ـ دار الريان .

[٨] المسند ـ للإمام أحمد بن حنبل ـ دار الحديث .

[٩] صحيح الأدب المفرد ـ للإمام البخارى ـ تخريج الشيخ الألبانى ـ المكتبة الإسلامية .

[١٠] المعجم الكبير ـ للطبرانى ـ دار الكتب العلمية .

[١١] شعب الإيمان ـ للبيهقى ـ دار الجيل .

[١٢] صحيح ابن حبان ـ مكتب التربية العربى .

[١٣] صحيح الجامع الصغير ـ للشيخ الألبانى ـ المكتب الإسلامى .

[١٤] سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ للشيخ الألبانى ـ المكتب الإسلامى .

[١٥] مشكاة المصابيح ـ تحقيق ـ الشيخ الألبانى ـ المكتب الإسلامى .

[١٦] فيض القدير ـ للعلامة المناوى ـ دار الكتب العلمية .

د . كتب فى السيرة :

[١] سير أعلام النبلاء ـ للإمام شمس الدين الذهبى ـ مكتبة الصفا .

[٢] البداية والنهاية ـ للحافظ ابن كثير ـ مكتبة الإيمان .

[٣] أسد الغابة ـ لابن الأثير ـ دار الفكر .

[٤] صفة الصفوة ـ لابن الجوزي ـ المكتبة التجارية .

[٥] حلية الأولياء ـ لأبي نعيم ـ مطبعة السعادة .

[٦] الرحيق المختوم ـ الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ـ دار العلوم العربية .

هـ ـ كتب في الرقائق والمواعظ :

[١] الداء والدواء ـ لابن القيم ـ مطبعة المدني .

[٢] مدارج السالكين ـ لابن القيم ـ دار الكتاب العربي .

[٣] الوابل الصيب ـ لابن القيم ـ مكتبة الإيمان .

[٤] إغاثة اللهفان ـ لابن القيم ـ دار العقيدة .

[٥] الأذكار ـ للإمام النووي ـ مكتبة الصفا .

[٦] الكبائر ـ الإمام شمس الدين الذهبي ـ المكتبة التجارية .

[٧] عودة الحجاب ـ الشيخ محمد إسماعيل ـ دار الصفوة .

[٨] علو الهمة ـ الشيخ محمد إسماعيل ـ مكتبة الكوثر .

[٩] أصول الدعوة ـ الدكتور عبد الكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة .

[١٠] موارد الظمآن ـ الشيخ عبد العزيز السلمان ـ مطابع المدينة .

[١١] صلاح الأمة ـ الشيخ سيد حسين العفاني ـ مؤسسة الرسالة .

[١٢] وصايا الرسول ـ الشيخ سعد يوسف ـ المكتبة التوفيقيه .

[١٣] التربية على منهج أهل السُّنَّة والجماعة ـ الشيخ أحمد فريد ـ الدار السلفية

[١٤] تربية الأولاد في الإسلام ـ عبد الله ناصح علوان ـ دار السلام .

[١٥] تعظيم قدر الصلاة ـ لمحمد بن نصر المروزي ـ مكتبة الدار .

[١٦] إحياء علوم الدين ـ لأبى حامد الغزالى ـ مكتبة الشعب .

[١٧] وبالوالدين إحسانًا ـ الشيخ سعيد عبد العظيم ـ دار العقيدة .

[١٨] محمد كأنك تراه ـ الشيخ عائض القرنى ـ دار بن حزم .

[١٩] فضائل الصلاة ـ أحمد زايد حمدان ـ دار بن عباس .

[٢٠] رمضان وتزكية النفوس ـ للمؤلف ـ مكتبة الإسراء للنشر والتوزيع .


فهرس



فهرس

رقم الصفحة

